الى القارئ

نحو مستقبل أفضل
أساسه «حوار الحضارات»

بقلم : محمد عزالي

لطالما دعونا الى تعاون ثقافى نزيه بين مختلف شعوب المعمورة ، مقام على التقدير المتبادل ، مبرإ من عقد الاستعلاء والغرور وإرادة الهيمنة والاستغلال ، محاط باكثر ما يمكن من الانتباه والتحرى ، للحفاظ على خصوصية كل ثقافة ، وإبراز طرافتها وصيانة عبقريتها ، وذلك إيمانا منا بأن حظوظ الشعوب ـ كالأفراد ـ متساوية فى الابداع والعطاء ، وأن شرف المساهمة فى إثراء الحضارة البشرية حق وواجب فى آن معا ، يمارسهما ويتحمل تبعاتهما كل البشر ، مهما تعددت اجناسهم ، واختلف لون بشرتهم ، ومهما تفاوتت ثرواتهم الطبيعية ، وتعاظم حجمهم الديمغرافى ، وترامى حيزهم الجغرافى ، وثقل ما يسمى « بوزنهم » السياسى .

ذلك هو الموقف السليم الذى يمليه العقل المتبصر ، وتقتضيه الأخلاق السامية وتفرضه متطلبات السلم العادلة الدائمة ، والذى دل التاريخ ، فى متعاقب أحقابه ومتقلب أطواره ، على أن الشحناء والأحقاد والحروب والاستعمار والدمار التى قاست من ويلاتها البشرية ـ ولا تزال ـ إنما هى نتيجة حتمية للتنكر له أو السهو عنه .

وكثيرا ما لفتنا نظر فئة من إخواننا فى الوطن ، واصدقائنا في الغرب ـ من دون تعصب ولا تحامل ، بل رغبة صادقة فى الحوار والتكامل ، ووفاء للقيم

العليا التى تنتسب اليها وتغذيها فى نفس الوقت كل ثقافة حق ـ لفتنا نظرهم الى محو آثار الالتباس التاريخى الكبير الذى أفسد علاقات الشرق والغرب منذ قرون ، ومهد الى الحروب الصليبية وبرر الاستعمار والاعتداء على حرمات الشعوب وإجهاض نهضتها والقضاء على شخصيتها أو مسخها بدعوى إخراجها من ظلمات البدائية وبؤرة التخلف الى نور العصر وجنة التقدم والرفاهية الموعودة ٠

فأما الفئة المقصودة من إخواننا فى اللغة والدين والوطن ، فاننا لم نزل نوقظ همم المستلبين منهم والمنشطرين والمغفلين ، الجاهلين أو المتجاهلين لخصائص تراثهم العربى الاسلامى ، أو ضحايا الاستعمار ، المتقين إشفاقا من العودة الى ما وراء الوراء ! ، بمظلة الثقافة الغربية ، غير المهضومة من بعضهم، ولم نزل كذلك نحاول إنارة الطريق أمامهم كى يكتشفوا ذاتهم ويتذكروا أن الوطنية والكرامة والاستقلال ٠٠٠ قد تبقى كلها مظاهر خلابة وأشكالا جوفاء اذا هى لم تستند الى رؤية حضارية أصيلة ، ووعى حاد بمقومات الكيان الفردى والجماعى الروحية والفلسفية والاخلاقية ، ولم نزل أيضا نحفزهم على الثقة فى النفس وندعوهم ، مع الارتواء من كل مناهل الفكر والاخذ بكل أسباب العصر ، الى الاقدام على الابتكار والخلق والمعاناة للظفر بالحلول الجذرية والطريفة للمشاكل المستعصية التى يطرحها علينا محيطنا الثقافى والاجتماعى والاقتصادى ٠

وأما أصدقاؤنا فى الغرب فنحن بقدر ما نكن لهم من الاحترام والتقدير ، لكل ما ساهموا به ولا يزالون فى تقدم البشرية منذ أربعة قرون ، والاعتراف لهم بالفضل فى تكويننا العصرى والعلمى ، نسألهم اليوم ـ وقد مات ما فات ! ـ بذل مجهود كبير من التواضع الفكرى ، والتسليم بأن مستقبل البشرية تساهم كل الأمم فى نحته وتحمل تبعاته ، لا فضل لأمة على أخرى إلا بعطائها وطرافة مساهمتها ، ونسألهم بكل لطف التخلى عن الاعتقاد بأنهم هم كل شىء وأنهم مصدر المعرفة والقوة والسعادة وأن من سواهم من البشر مضطرون الى الاخذ عنهم والاقتداء بهم واستهلاك بضاعتهم ، ونسألهم بآسم الموضوعية العلمية التى يحملون لواءها ٠٠ أن يعيدوا قراءة التاريخ من دون غفلة عن بعض جوانبه وأن يقدموا على بعث مستقبل زاهر للانسانية عماده مشاركة كل القارات وأساسه تعاون الثقافات والحوار بين الحضارات من دون استثناء ٠

★

وهذا بالضبط ما هدف إليه المفكر الفرنسي ، الماركسي المسيحي ، روجي فارودي في كتابه الجديد (*) الصادر منذ حوالي شهرين ، والذي نعتبره وثيقة هامة ومساهمة ثرية في ملف مستقبل الانسان وتطور الحضارة ، خاصة وأن المؤلف لا ينطق عن الهوى وليس من الخياليين والكتاب « العفويين » الذين يلقون الكلام على عواهنه ويكتفون من الحجج بالارتسامات العابرة أو ردود الفعل العاطفية ، فهو أستاذ مبرز في الفلسفة ، عرفناه في أيام دراستنا العالية بالسربون في أواخر الاربعينات ، أحد أيمة التفكير الماركسي وزعيما مرموقا للحزب الشيوعي الفرنسي ، وعضوا بديوانه السياسي ، قد صدر له 28 كتابا على الاقل ، ثم انفتحت عيناه على واقع الشيوعية وحقيقة الماركسية وحدودها ، وجهلها ببعد الانسان الروحاني وصمتها إزاء معنى الوجود والمآل ولغز الموت وقصة الانسان في صراعه بين الارض والسماء ، فرجع الى الله من دون أن يتنكر الى ما تهدف اليه الاشتراكية من عدالة اجتماعية ورفاهية وفرحة حياة. ولكنه أطرد من الحزب الشيوعي وظل يناضل بمفرده مفتح العينين دائما ، مصغيا الى ما حوله بدون انقطاع .

★

عندما يعيد الكاتب وضع التاريخ في آفاق القرون (30000 قرنا) وفي مستوى الكون ويقيس المكان الذي يحتله الغرب منذ أربعة قرون لتقرير مصير بقية العالم باستغلاله لمصلحته دون سواها ، يستخلص ان هيمنة الغرب أخطر حدث في تاريخ الكون ، لم ينتج عنه سوى الخوف من الموت وخشية الانسان أخاه الانسان والذعر من المستقبل ! ويعلن « ان الغرب مجرد حادث ! » L'Occident est un accident ثم هو يحلل الحضارة الغربية ويصدر الأحكام القاسية التالية فيقول : « منذ القرن السادس عشر الى نهاية القرن العشرين تحكمت في تطور حضارتنا الغربية فرضيات ثلاث: (1) أسبقية الفعل والعمل. (2) أسبقية العقل. (3) أسبقية «اللامتناهي الردىء» أي اللامتناهي الكمي... وإن مثل هذه الحضارة القائمة على هذه الفرضيات الثلاث مجهزة بدواعي الانتحار ... انتحار لانعدام الغاية ، كما يشهد بذلك اللجوء الى المخدرات وانتحارات المراهقين التي هي أكثر حدوثا في البلدان الأوفر ثراء ، وانتحار لكثرة الوسائل كما تثبت ذلك مثلا آفاق نفاد الموارد الطبيعية والتلوث ، وهي

(*) عنوان الكتاب : « من أجل حوار بين الحضارات » Roger Garaudy - Pour un dialogue des civilisations - Ed. denoël 1977

نتيجة ضرورية لتصور لا يرى فى الطبيعة إلا خزانا ومزبلة ٠٠ إن مجتمعاتنا التى تدعى « متقدمة » تشتغل ـ بأسم فرضية اللامتناهى الكمى ـ بمقتضى المبدأ الذى كان فيما مضى مبدأ السفسطائيين وهو خلق الحاجات والشهوات حتى التى هى أشد اصطناعا وضررا قصد إنتاج الوسائل التى تشبعها » (I)٠

ويلاحظ قارودى « أن النهضة La Renaissance التى لم تكن مجرد حركة ثقافية ، بل كانت مولدا مزدوجا للرأسمالية والاستعمار ، والتى هى أبعد من أن تكون أوج النزعة الانسانية ، قد أتلفت حضارات أعلى شأنا من حضارة الغرب فى علاقات الانسان بالطبيعة والمجتمع والامور الالاهية » ٠

ويذكر المؤلف المذابح المقترفة ضد الهنود الحمر فى امريكا الشمالية والجنوبية وإبادة حضارات « المايا » و « الأزتيك » ، فى القرن السابع عشر من أجل الحصول على مناهج المعادن الثمينة فى امريكا اللاطينية ، ويتحدث عن التجارة المثلثة التى تعاطاها الغرب والمتمثلة فى خروج البواخر من الموانى الاوربية محملة بأتفه البضائع نحو افريقيا حيث تباع مقابل شحنات من العبيد يباعون بدورهم فى أمريكا ومنها تعود البواخر الى أوربا محملة بالسكر والقطن والتوابل ٠٠٠ ويلاحظ : « يقول بعضهم احيانا إن الاتجار بالرق الأسود « أكتفى » بنقل بضعة ملايين من الرجال الى أمريكا، وينسون أنه مقابل اسير واحد يموت فى الطريق عشرة ٠ واذا قدرنا العبيد المنقولين بعشرة ملايين ، وهذا حد أدنى ، فمعنى ذلك أن مائة مليون نسمة قد هلكوا٠ إن العالم لم يعرف أبدا مثل هذه الابادة الجماعية !٠٠٠ »

ويؤكد المؤلف ان كتابة تاريخ حقيقى ، أى تاريخ لا يرتكز على الغرب ، قد يكون « تاريخ الفرص الضائعة » على البشرية بسبب تفوق غربى لا يرجع الى تفوق ثقافى بل الى آستخدام عسكرى وعدوانى لتقنيات الاسلحة والبحر ٠

ويضيف : « إن بعث المستقبل الحق يشترط العثور ثانية على الابعاد الانسانية التى تفتحت فى الحضارات والثقافات غير الغربية ، اى ان « الحوار بين الحضارات » يمكن وحده من بعث مشروع كونى لابداع المستقبل ٠

(I) يجدر الملاحظة أن ڤارودى كان فيما سبق يعتقد بأن تطور العلوم المجردة والتطبيقية وإطلاق العنان لتطور بدون حدود كفيلان بالجواب عن كل التساؤلات الوجودية (انظر كتابه « ماركسية القرن العشرين » 1966 ـ ولكنه تطور كما قلنا لأنه منتبه الى الواقع شأن كل مثقف حى يقظ ٠٠٠

ويستشهد المفكر الفرنسي بتجربته الحياتية التي ساقته الى اليقين بأنه يجب ـ في ميدان العلاقات الاجتماعية والسياسية في الغرب ـ إعادة كل شيء على قواعد جديدة ، وبأن تحقيق هذا المشروع يتطلب من الغربيين استنطاق حكمة القارات الثلاث الاخرى وثوراتها ، فيقول : « إن تجربة حياتي كلها ساقتني الى هذا اليقين ، وتفرض علي أداء هذه الشهادة ، شهادة عن تجربة كونية ، عما قدمته لي من إثراء إنساني الثقافات غير الغربية ورجال آسيا والاسلام وافريقيا وامريكا اللاطينية • شهادة عما بحثت عنه وما آكتشفته في كل من هذه الثقافات وفي كل الرجال الذين عرفتهم ، من طابع إلاهي •

وفيما يتعلق بآتصالاته « الاسلامية » يقول : « الاسلام كان بالنسبة الى تلك الزيارة الاولى التي أديتها في الجزائر سنة 1945 الى رئيس جمعية العلماء الشيخ الابراهيمي بمكتبه الذي تنتصب فيه لوحة كبيرة للامير عبد القادر••• كان الاسلام بالنسبة الى عميد الكلية الزيتونية الشيخ الفاضل بن عاشور وهو يترجم امام العموم الى العربية الفصحى محاضرتي عن إسهام الحضارة الاسلامية ، وهي المحاضرة التي أوجبت طردي من تونس من قبل المقيم العام الجنرال ماسط » •

ولعله من الطريف أن نعلم أن الذي تسبب في طرده من تونس سنة 1945 بتهمة الدعاية المناهضة لفرنسا إيراده للحوار التالي الذي وضعه الكاتب أناتول فرانس في كتابه : « الحياة المزهرة » La Vie en Fleur : « سأل السيد دوبوا Dubois السيدة نوزيير Noziere عن اشأم يوم في تاريخ فرنسا • وكانت تجهل ذلك ، فقال لها دوبوا : إنه يوم معركة بواتيي ، عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية سنة 732 أمام الهمجية الفرنكية » •

وهكذا كان ممنوعا في عهد الحماية الفرنسية على تونس التأكيد بأن الحضارة العربية سادت حتى القرن الرابع عشر الحضارة الاوروبية ! وكان ممنوعا أيضا التعريف بكلمة أناتول فرانس التي تنطوي على حقيقة ـ قد يعتبرها بعض المتعصبين في الغرب اسطورة ويراها نفر من « المتفتحين » عندما مبالغة او تغنيا بالماضي لا يسمن ولا يغني من جوع ••• ـ هي ، كما يؤكد قارودي ، أن فرنسا إبان بواتيي قد ضيعت فرصتها التاريخية للاسهام في الحضارة العربية الطالعة وآختصار مدة الفوضى الاقطاعية ، ولبناء وحدتها القومية والاستفادة بما غنمته آسبانيا • ذلك ان الكاتب بلاسكو إيباريز

Blasco Ibarrez (1) يقيم الدليل فى كتابه « تحت ظلال الكتدرائية » على أن إحياء اسبانيا لم يأت من الشمال مع الطغمة الهمجية بـل من الـوسط مع العرب الفاتحين ٠

وهكذا يدعو الكاتب الفرنسى الى إعادة كتابة صفحـات كثيـرة من تاريـخ فرنسا والغرب عامة ، « أملتها الروح الاستعمارية الاكثر تحيزا وسخافة ٠٠٠ إن أسطورة بواتيى مثل أسطورة ماراطون وغيرها من الأساطير حان الـوقت لأن تنقشع » كما حان الوقت لان تزول خرافة أخرى : « تلك التى أراد فرضها الاستعمار الفرنسى بتقديم التوسع الغربى منذ القرن الثـامن عشـر بمثـابة أكتساح « الهمجية الآسيوية » للغرب ! » ٠

وعن جور التاريخ عندما يكتبه بعضهم بالمقلوب يذكرنا فـارودى « بأنه من المصائب الكبرى للتاريخ المكتوب أنه كتب من قبل المنتصرين الذين يريـدون دائما أن يثبتوا أن هيمنتهم كانت حتمية تاريخية ، أى أنها ناتجة بالضرورة عن تفوق ثقافتهم وحضارتهم !٠٠» وهذا ما يعيننا ـ نحن ـ على فهم عقلية ومواقف بعض المثقفين فى العالم الثالث من ثقافاتهم وهم الذين قرأوا تاريخهم كما كتبه أعداؤهم ، أى « بالمكذوب » !

وفى هذا الصدد يلاحظ فارودى أن ما يسمى « بفتح اسبانيا » لم يكن فتحا عسكريا ٠ لقد كانت اسبانيا آنذاك حوالى عشرة ملايين ساكن ولم يطأ ارضها أكثر من سبعين ألف فارس عربى٠ لقد لعب النفوذ الحضارى دورا حاسما٠٠٠ إن ما أنجزه العرب بآسبانيا يشبه حرب « ماوتسى تونغ » الثورية !٠٠ لقـد جاؤوا بنظام اجتماعى أرقى بكثير من النظام القائم وسرعـان مـا ظهـروا فى مظهـر المحـررين ، وذلـك بتخليـص عبيـد الارض مـن وصـايـة الملـوك « الويزيقوت » المتدهورين أولا ، ثم بعدم الاستيلاء على الاراضى ـ فالقـرءان يحرم ذلك ـ مكتفين بالخراج ٠٠٠ »

وبهذه المناسبة نورد لقوم يخشون تهمة التعصب وداء الانغلاق اذا استدرجوا للحديث عن فضل العرب فى تقدم العلوم ، ما شهد به هذا المفكر الحر الذى لم يعرف بشطحاته الصوفية قط ، بل كان دائما مثال الباحث الرصين ٠٠٠ لعلهم

(1) راجع : The genius of arab civilisation - source of Renaissance (ed. Phaidon, oxford, 1976)

«يتجاسرون» على معرفة تاريخهم كما هو لا كما كتبته شرذمة من الاستعماريين الحقودين ··· قال ڤارودى مما قاله فى هذا السياق : « عندما ذهب القس الفرنسى جربير Gerber ليتعلم بجامعة قرطبة ، عاد منها مكتسبا من العلوم ما آتهم من أجله بأنه تعامل مع الشيطان ! ولقد صار فيما بعد « بابا » تحت آسم Sylvestre II ··· وقال : « كما أننا ندين للعلم العربى بأهم كلياتنا الطبية وفى مقدمتها كلية منبليى · ولقد نشرت ودرست بفرنسا حتى القرن السادس عشر وبآنقلترا حتى القرن التاسع عشر مؤلفات الطب العربية وخاصة مؤلفات الرازى الشهيرة ··· لقد كان العرب يطبقون منذ القرن الثامن عملية تكشف العين بواسطة الامتصاص بابر مجوفة (1) ··· إن الشاعر عمر الخيام الذى عاش فى القرن الحادى عشر استطاع حل معادلات الدرجة الثالثة مستعملا نفس الطريقة التى استعملها ديكارت بعد خمسة قرون ، واضعا بذلك قواعد الهندسة التحليلية · لقد ظل مؤلف عمر الخيام فى الجبر المنقول الى الفرنسية حجة فى تلك المادة بفرنسا الى سنة 1857 ··· ويتحدث ڤارودى عن تكوين المراصد العربية وعن الخرائط واكتشاف الارقام العربية والصفر وعن المواد الكيميائية والصيدلية العربية ، وعن آبن خلدون يقول : إنه يظل شخصية شمولية فى ميدان العلوم الانسانية، وتبين أنه مخترع مفهوم علمى للتاريخ وعلم الاجتماع ··· إن رجلا فى مستوى ابن خلدون لا يمكن أن يولد فى الفضاء ،وبقراءته يمكن تصور ما كان عليه ازدهار الفكر العربى فى زمانه فى ميدان العلوم الانسانية · ويختم ڤارودى هذه الملاحظات باعلان « أن الغرب مدين بالنهضة الى حد كبير للفتح العربى الذى استطاع أن يخلق الظروف الفكرية الضرورية لتفتحه » ·

ولكن المفكر الفرنسى لا يقتصر على التنويه بفضل الثقافة العربية الاسلامية على الحضارة الانسانية بل هو يخصص أبوابا كاملة للحديث عن مساهمة الثقافات الاخرى التى لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الانسان فى الصين والهند وإفريقيا وأمريكا اللاطينية مبرزا خصائصها ومنددا بمقاومة الغرب لها ومحاولاته طمسها (2) ويذكر بعض التجارب الطريفة التى أقدمت

(1) Opération de la cataracte par succion avec aiguille creuse

(2) اكتفينا في هذا المقال بذكر بعض ما قاله المؤلف عن العرب والثقافة العربية ولا يمكننا لضيق المقام تلخيص ما جاء فى كتاب ڤارودى القيم من معلومات وتوضيحات حول الثقافات الاخرى ويمكن القارىء الرجوع الى الكتاب ، ويا حبذا لو ترجم الى العربية ففيه فوائد جمة ·

عليها تلك البلدان للخروج من التخلف من دون تقليد أعمى للغرب ٠٠٠ ويقول فى هذا الصدد : « علينا أن نتعلم الكثير من الحكمة الشرقية ، ويمكن لسكان افريقيا وآسيا وأمريكا اللاطينية أن يستوعبوا بعض المظاهر الايجابية من علومنا وتقنياتنا ٠ إن تبادلا يسمح بفتح حوار حقيقى بين الحضارات ليس مستحيلا ٠ ولكن الحوار يفترض أن يقتنع كل طرف بأن له ما يتعلمه عن الآخر٠ إن المونولوف الغربى دام كثيرا ! لقد حاول توجيه كل الثقافات بمقتضى تصوراته الخاصة ٠٠٠ إن تفهم ثقافة أخرى يتطلب تحولا جذريا فى عقليتنا الغربية ومجهودا كبيرا من التواضع الفكرى ومن التلقى ٠ إن غير الغربيين بامكانهم أن يساعدونا على الاحساس بحدود رؤيتنا الكونية٠٠٠ إنى أتمنى أن يأتى متعاونون من آفريقيا أو آسيا لاتمام تربيتنا !٠٠ فنحن متخلفون فى عدة نقاط حياتية أساسية !٠٠٠ » ٠

وهكذا ينادى ڤارودى بقيام ثورة ثقافية عارمة لتيسير الحوار بين الحضارات ويذكر من شروطها :

1) أن تحتل الحضارات غير الغربية فى الدراسات مكانة متساوية فى الاهمية على الاقل لمكانة الثقافة الغربية (I) ٠

2) أن ينظر الى الفلسفة نظرة جديدة ، فهى ليست كما يفهمها الغرب اليوم بحثا فكريا بحتا بل هى طريقة حياة ٠

3) أن يحتل علم الجمال مكانة على الاقل فى مثل اهمية تلقين العلوم والتقنيات ٠

4) أن يكون للمستقبلية ، وهى فن تصور المستقبل ، والتفكير فى الغايات٠ ما للتاريخ من أهمية على الاقل ٠

★

(I) ينتقد ڤارودى برامج التربية القومية الرسمية ويقول : « أتخذ مثلا على ذلك من نفسى ٠ فأنا المبرز فى الفلسفة اجتزت امتحاناتى دون أن أعرف كلمة واحدة من فلاسفة الهند والصين والاسلام !٠٠ »
ونحن فى العالم الثالث ــ بالعكس ــ لا نعرف شيئا ذا بال عن حضاراتنا !٠٠

ولئن اطلنا فى استعراض ما جاء فى كتاب قارودى فنحن لم نتعرض فى الواقع إلا الى القليل من المعانى الطريفة والمعلومات الجمة التى يزخر بها ، هدفنا إعلام قرائنا من اهل الضاد بما يكتب عنا وما يتجه اليه اليوم اهتمام المفكرين المعاصرين الاحرار ٠ ورجاؤنا ألا يبعث فينا ما قيل عنا الزهو والخيلاء فنتغنى بامجادنا ونعتبر انفسنا في المقدمة مستعيضين عن المضارع بالماضى وفي هذا غباء تاريخى كبير وسلبية لا تغتفر !٠ فاذا أصبح بعض المفكرين فى الغرب ينتظرون منا أن نؤدى رسالتنا الحضارية من وجهة عبقريتنا فمعنى هذا أنه يجب تحمل مسؤوليتنا كاملة من دون ترديد للماضى او محاكاة للغير ، فنبتكر الحلول الطريفة لمشاكلنا ونستمد من خصائص شعوبنا وملامح تراثنا ومعطيات واقعنا ما به نقوى على مغالبة التخلف والمساهمة فى توفير الاسباب الحقيقية للوئام والسلم فى العالم وخلق مستقبل أفضل للبشرية اساسه حوار الحضارات ٠

محمد مزالي

حكاية شعرية عن النشر في تونس

شعر: نور الدين صمود

يجد الأديب ولا يهزل
ويقضى من العمر وقتا طويلا
يطالع هذا الكتاب
ويحفظ ذاك القصيد
وينسخ نصا طويلا
كطول ليالى الصقيع
وحين يحس بنضج ويشعر بالاكتمال
يصب عصارة أفكاره
وينشرها فى كتاب دسم ..
تمنى كتابته منذ عهد طويل
ولكن ينام الكتاب طويلا
كنومة أهل الرقيم
على مكتب الناشر المحترم
ويسأل كاتبنا عن مصير الكتاب
ويأتى الجواب :
« سننشره بعد عامين أو أربعه
فصبرا جميلا
ولا تيأسن ..
ولا تجزعن .
وإن لم تكن مثل « أيوب » فى صبره
فهاك كتابك
لتبحث عن ناشر آخر
ينام لديه الكتاب سنينا أخر »
وبعد عذاب
وبعد ذهاب
وبعد إياب
يهل على الناس ذاك الكتاب
وتمضى لأخذ الحقوق
فيأخذ ناشرنا العبقرى
نصيب الأسد
وتبحث عن فضلات الأسد
فلا تظفر ..
بغير العظام ..
وبعد اللتيا وبعد التى

يقولون : « ليس لدينا نقود
وإن شئت حلا
فخذ نسخا من كتابك
مقابل ما تبتغي من حقوق
لتهدى منها الى الأصدقاء
وإن شئت بعها الى من تشاء »
وتمضي تفكر : « كيف العمل ؟
وهل تشترى بالكتاب الطعام ؟؟
وهل يقبل البائع المحترم
مقابل سلعته النافقه ··؟! »

ملاحظة :

أخي القارىء المحترم
لقد صغت هذى الحكايه
كما قد رواها صديق عزيز
وقد شئت أن أتسلى بها
فأخضعتها للعروض الجديد
لأكسبها مسحة من طرافه
وأقسم أن الحكاية ليست خرافه
ولكنها واقع مضحك
« وكم من المضحكات··!
ولكنه ضحك كالبكاء » (1)
« قد رأيناه »

7 جوان 1976

(1) البيت الاخير من قصيد للمتنبي يهجو به كافورا ، وأصل البيت :

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

وهو من مقصورته التي طالعها :

ألا كل ماشية الخيزلى فدا كل ماشية الهيذبى

ويمكن تحريفه هكذا أيضا ، للوزن وملاءمة المقام :

وكم ذا بتونس ··· إلخ إلخ بتسكين السين ·

الرشفة الأخيرة...

بقلم: حسين المغربي

قال محدثي ــ وهو من المولعين بشرب القهوة المضغوطة ــ :

« كنت أقرأ جريدتي اليومية ، وأترشف بين الآونة والاخرى ــ قهوتي المعتادة ، حتى فوجئت بنبأ عظيم ، عن خلط القهوة بالحمص ، لتفادى الارتفاع الكبير ، والحتمى فى ثمنها .

فكان رد فعلى المباشر ، أن أخذت الفنجان . ورشفت ــ فى انفعال ــ الرشفة الاخيرة ، لاختبر طعمها ، مستنجدا بدقة لسانى ، وحساسيته الذوقية عسانى أتبين ما اذا كانت فى طعمها شائبة حمصية .

ولم أكتف بخبرة لسانى وشفتى ، فأقحمت أنفى ، وقربته من الفنجان ، وقربت الفنجان منه .. حتى كاد يلامس قراراته المسودة .

ولم اقنع بذلك ، فسخرت أناملى ، واقحمتها فى التجربة ، فادخلت سبابتى ، وغمستها فى حثالة القهوة ، ثم أخذت أمرسها وأتحسسها علنى أعثر فى ذراتها على اثر للحمص .

واعيتنى الحيلة ، رغم طول تجربتى فى شرب القهوة ، وترشفها .. وتذوقها ، واكتشاف جودتها أو رداءتها من خلال نكهتها قبل مذاقها .

انه الشك ــ قاتله الله ــ

ذلك أن النبأ لم يشر الى الموعد الذى تم فيه خلط القهوة بالحمص ، ولا الى المستند القانونى لذلك الخلط العجيب .

فاستنجدت بعامل خارجى ، بعد ان فشلت العوامل الذاتية ، فدعوت صانع القهواجى وسألته :

« ما بال القهوة ــ اليوم ــ ليست كالعادة ؟ »

فزم شفتيه ، وهز كتفيه ، وهمهم يقول : « القهوة كالعادة .. أما انت فلعلك لست كالعادة » وتركنى فى حيرتى وانصرف الى عمله ٠

لعنت ــ فى سرى ــ ذلك الصانع ، واخذت أجيل البصر فى الجالسيــن ، عسانى أظفر من خلال ملامحهم ، بما يدلنى على ردود فعلهم ازاء ما يشربون ٠

فكنت انظر الى كل من يرفع الفنجان أو الكأس الى شفتيــه ، منتظــرا رد فعله ، فلم أظفر بطائل حيث كانوا جميعا ــ حسبمــا يبــدو ــ من الشاربيــن العاديين جدا .. الذين لا ذوق لهم ، فهم يشربون القهوة ولا يترشفونهــا ، ولا يبدو عليهم ،، انهم يتنهنهون بعد كل رشفة ٠

وكيف ينتظر منهم أن يتنهنهوا ، وهم انما يجغمونها جغمة جغمــة ، كمــا يجغمون الماء او الشربة الافرنجية ٠

وما حيلتى مع أصحاب الامزجة الخشنة ، والاذواق غير السليمة ؟

وثارت ثائرتى ، وقصدت معمل القهوة الذى اشرى منه ــ عادة ــ فوجدت عليه اقبالا أقل من العادى ، اذ اختفى ذلك الازدحام المعهود ، والصف الطويل الذى كنت أقف ضمنه لشراء زادى الاسبوعى من القهوة الحبنية ٠

فاستنتجت من قلة الاقبال ، ان القهــوة أصبحت ــ فعــلا ــ مخلوطة ، أو « محموصة » كما كتب : محمد قلبى فى « لمحته الصباحية » ٠

عدت الى المنزل ، واتجهت مباشرة الى المطبخ ، أبحث عن علبة القهوة ، ولما لم اهتد اليها داخل ذلك الحشد الهائل من الحقق والعلب والمواعين ، استنجدت بزوجتى قائلا ــ فى انفعال : « أين القهوة ٠٠؟ أين القهوة ؟ »

فأجابت بصوت لا يخلو من فتور : « لقد نفدت ، منذ الامس ، ونسيت أن أذكرك بشراء زاد جديد ٠

قلت فى غضب : « لا زاد جديد بعد اليوم ، فقد « حمصوهــا » أو قولــى : لقد قهوجوا الحمص ، فضربوا عصفورين بحجر واحد ، فما أبرع الصياديــن ــ عندنا ــ فى القهوة العكرة ٠٠٠

جاءت زوجتى تجرر أذيالها ، وهى تتبختر مبتسمة ، فظننت انها على علـم بما جرى ، وانها تريد أن تغيظنى « وتحمصنى » ٠

وصدق ظنى فقد قالت وقد ازدادت ابتسامتها اصفرارا : « ما بالك تبحث عن القهوة ، وميعاد شربك لها لم يحن بعد ؟ هل نرفزك أحد ، أو موضـوع ، أو قضية ؟ » ٠

قلت : « لقد دخلت مرحلة النرفزة المستمرة ، وسلام على « الشاذلية » التى كانت مع السيجارة تنحى عن القلب غمة ٠

قالت : « هل نفدت القهوة من السوق ؟ أم غابت فى ظلام السوق السوداء ؟»

قلت : « لا هذا ولا ذاك ، انها فقدت سوادها فى السوق البيضـاء ، لقـد دخلت سوق الحمص ، فأعجبت ببياضه ، واحتكت به واحتك بها ، وتجاوبا ، وغنت له : نحن روحان حللنا بدنا ، ثم عانقته وقالت : هيـت لـك ، فلبـى واستجاب وتم قران الحمص على القهوة تأكيدا لمبدأ التعايش بيـن الاجنـاس والالوان ٠ فياليت « ايان سميث » يشربها ، فيشفى من علته العنصرية ٠

قالت زوجتى وهى تخفف من غضبى وتوترى : « تكبر وتنسى ، وتستأنس بشرب « الحمصهوة » أو « القهومص » كما استأنست بكل مخلوط وممزوج »

قلت : « صحيح ، ولا مناص من الاستئناس بالخلط والمخلوط ، بشرط ألا يتسرب ذلك الى القيم والمفاهيم ، والمبادىء والمقاييس ٠٠٠

خوْف

شعر : نهاد رضا
« سوريا »

الخوف الصامت يقلقني ويهدد أروع أنغامي
خوفي .. أم خوفك .. لا أدري فحنيني ضخم أوهامي
في قلبي أنت متوجة أيحاول قلبي إيهامي !؟
عيناك .. وليونها قدري بهما سأكحل أحلامي
بهما انصهري في أعماقي إن مست روحك أنسامي
فأنا بالهمس أخاطبها ولساني جنح الالهام
لجنوني كوني ملهمة لا تخشي وجنه الأيام
الخوف الصامت يقلقني ويهدد أروع أنغامي

الحرف والحرب

شعر : رياض المرزوقي

« يبكى .. من يبقى الحزن لديه على السطح » يبكى .. من لم يتذوق طعم الجرح ! »

جمعتنا حكمة لقمان ..
وصدى ما قبل الازمان !
فعبرنا بحر مودتنا
فى قارب هدب الاجفان

* * *

أركضت جوادا ما عرفت
أرض أو عانق ميدان
الرغبة تحضن أرجله
وعلى صهوته الايمان ،
فدفنت الحق بصبوتها
وزرعت الشوق بفستان
وأذبت الفكر على مهل
فى عالم عرى السيقان
وشربت العمر بلا كلل
دنياى بخاطر شيطان
اخلصت لحبى فى غزلى ..
لم ألعب دور الفنان !
واليوم دعوتك يا وطنى ..
كى تنصف هذا الانسان !

* * *

اخلصت اليك كما خانوا
باعوك ببخس الاثمان
وضعوا « الثورية » فى جيب
واختاروا بيض القمصان
« ثوريتهم » فى ياقتهم
واناقتهم ، والاعلان !
غرقوا بكلام رنان
فى المصدح ، أو فى جلسة حان !

* * *

وبكوك ، جهارا ، يا وطنى ،
نشروا مرثية فى (عدنان)
وطؤوك بجملة ما وطأوا
للشهوة كنت القربان !
نالوا ، من اجلك ، ما طلبوا
أكوام الذهب الرنان !
فى كم من مؤتمر صدحوا ؟
ما نفع المؤتمرات الآن ؟
ثورى حقا من عانى
فى الاردن ، أو فى لبنان
حمل الاخلاص بمدفعه
والشوق وراء القضبان
ومضى ٠٠٠ دمه درب ضيا
ورصاصته من ايمان

* * *

الحرف الاعزل لا يقوى
فى الفتنة ،
عن رد العدوان !
فاذا ما كان شباكا من ذهب ٠٠
لعذارى (السان) ،
أو مضغة افواه عطشى ،
لدماء الانسان ـ الانسان ،
أو قول صلاة ٠٠ أو ترتيل
أو تقديس ٠٠ أو تمجيد ٠٠
للسلطان ،
ما يقدر هذا الحرف ؟
بدون ضمير ،
وبدون لسان ؟
الجد لفوهة رشاش
والرفض لسلم وأمان !

77 — 3 — 7

ليلة شعراء العالم في "ستروقا"

بقلم : محي الدين خريف

اذا كانت كل قصيدة هي محاولة للخروج من النطاق المادى ، والوصول بالانسان الى استكشاف العوالم النقية داخل الذات او خارجها ٠ فان الشعر سيبقى دائما رغم تألب العالم المادى عليه الواحة الظليلة التى يجد فيها الانسان نفسه والمدائن التى يرى فيها ابعاد انسانيته فى أجلى مظاهرها وابدع صورها٠

أحسست بهذا وأنا فى مهرجان الشعر الذى انعقد بمدينة « استروقا » الجميلة بجنوب يوغسلافيا ورأيت اشياء دعمت ايمانى بأن الشعر سيبقى حيا ما دام الانسان يصارع أقداره فى البحر ، ويقف أمام اكبر الصعوبات فى الجبال ، ويفلح الارض المعطاء ويزرعها فتحدب عليه ويحدب عليها ٠ ويحب ويضحك ويبكى ان الشعر هو الانسان فكيف يمكن أن يتخلى الانسان عن نفسيته ٠ ويتغافل عن أهم الجوانب فى داخل أعماقه ٠

كانوا مجموعة من الشعراء قدموا من جميع أنحاء العالم من امريكا وانجلترا وفرنسا وكوبا وفلندا ومنغوليا ٠ صور حقيقية للانسان الذى كسر الحواجز وحطم الحدود وعانق انسانيته فى اجمل مظهر واكبر محفل عالمى وكانت كل الوجوه كانها على معرفة قديمة ببعضها تعانق البسمة البسمة وتصافح اليد اليد ، ويتلاقى الكل على صعيد الحرف الصادق الذى لا يزيف ولا يكذب ٠ ورغم أن اللغة تقف حاجزا أمام الافهام فى بعض الاحيان الا ان التوق الداخلى والشعور بالوحدة الانسانة كان يقرب الناس بعضهم من بعض ٠

وكانت لقاءات على جسور البحيرات وفى الادغال الغابية وفى أروقة الكنائس شهدت بما لجماهير مقدونيا من تعلق بالشعر ومن تـواجد بلـغ حـد اللهفـة بالشعـراء

مقدونيـا :

مقدونيا جمهورية من جمهوريات يوغسلافيا تمتد فى الجنوب الغربى منهـا وتمتاز طبيعتها بالجمال والروعة اذ تنساب فى جبالها وأوديتها أنهار عديـدة ، وتكسو معظم جبالها الغابات الغنية فى حين تتميز السهول بالخصوبة الوافرة

وبهذه المنطقة على سفوح جبال « استروڤا » تقع بحيرة « اهريد » التى تبلغ مساحتها 348 كم2 وتشق مياهها على عمق 40 م٠

وسكان هذه المنطقة من المسيحيين الارثوردوكس والمسلمين الذين يتشبثون بدينهم كاروع ما يكون المسلم ٠ لذلك لا يحس السائح فى هذه البلاد بالغربة اذ هناك يجد وجوها أليفة عليها من المسحة الشرقية الشىء الكثير٠وكذلك القباب والمساجد والدور ٠

كلها أشياء تبعث فى النفس التعاطف مع وجوه الناس الذين تغمرهم فرحة الحياة ويهزهم الاندفاع الى خوض غمارها فى عزة وقوة وتتفتح لاسمى مبادىء الاخوة الانسانية ٠ وكأنهم طردوا الخوف من بلادهم وقتلوا الحقد على مذابـح انتصاراتهم العظيمة ٠ التى هى فى الواقع نتصارات لانسان الحديث فى كل مدينة تحلم وتتطلع الى مستقبلها ٠

وفى جميع انحاء « مقدونيا » تتناثر الاثار الثقافية التى تصل بتاريخها الى عمق الزمان ٠ والى القرون القديمة والقرون الوسطى وتربط طرق السيـارات المعبدة العصرية والتى يزيد طولها عن 1600 كم وبين جميع مدنها وعدد كبير من قراها ٠ وتعتبر المنطقة التى بين « ستروفا » و « يتولا » أجمـل المناطق السياحية فى أروبا ٠

الأدب المقدونـى

يعتبر الأدب المقدونى من الآداب الحديثة فقد نشأ فى القرن المـاضى ومـن أشهر ممثليه رواك٠٠٠ميلادنيوف،ويعتبر قسطنطين ميلانيوف (1830ـ1862)

أول باعث لملامح هذا الادب الذى يقرب فى تطلعاته ورؤياه من الادب الاشتراكى الحديث فقد أعاد هذا الشاعر الكتابة بالمقدونية مستقطبا جـذور اللغـة الام لبلدته « ستروڤا » ولذلك يعتبر أحد المؤسسين للادب المقدونى

ولد قسطنطين ميلادنوف ببلدة « ستروڤا » ودرس فى أثينا وموسكو · وفى سنة 1861 اصدر فى مدينة « زغرب » ديوان القصائد الشعبية المقدونية

وتعتبر قصيدته « حزن من الجنوب » من منتخبات الشعر المقدونى · لانها تمثل من حيث المبنى خطوة هامة فى الشعر الذى بلغ أعلى مستوى التعبير الفنى فى اللغة المقدونية وموضوعها :

شاب مسلول يعيش غريبا عن وطنه فى بلد جهم تعصف به الثلوج · ويعذب البرد أهله · وفى حمى الاحساس الملتاع والوحدة القاسية والفقر الشديد ، تظهر فى رأس الشاعر فكرة الرجوع من بلاد الشمال الباردة الى ارض الجنوب المشمسة حيث تنام « ستروڤا » فى احضان بحيرة « اوهريد » وتظل هذه الفكرة مسيطرة عليه بقوة واعدة اياه بالتعويض قبل موته :

ليت لى جناحى نسر حتى اطير الى بلادنا

واذهب الى أراضينا ارى « استنبول » وارى « كوكوش »

وأرى هل هناك ايضا تطلع الشمس معتمة كهنا

اذا لاقتنى الشمس مظلمة سأرحل فى سفر بعيد

حيث تطلع الشمس صافية وتزرع السماء نجوما

هنا الظلام ، ظلام يطوقنى

ضباب كثيف يغطى الارض ، جليد وثلوج وغبار

رياح عاتية وعواصف ، ضباب واراض مجمدة تحيط بى

برد فى الصدر وأفكار سوداء · لا استطيع البقاء هنا ·

لا أقوى على النظر الى هذا الجليد

أعطونى أجنحة لاذهب الى بلادى لاطير الى اراضينا وأرى « اهريد » وأرى « استروڤا »

هناك يبعث طلوع الفجر فى الروح دفئا ٠ وتغيب شمس صافية على الغابة ٠ هناك تنشر قوى الطبيعة هباتها بسخاء فترى البحيرة الهادئة تبيض ٠

وبفعل الرياح تراها تميل الى الزرقة

وسواء نظرت الى السهل او الجبل فالجمال الالاهى يعم كل الارجاء هناك أريد من كل قلبى لو آخذ الناى وأغنى ٠

ولتغرب الشمس ولأمت أنا !!

وكأن هذه القصيدة تعكس ظلالا لحياة الشاعر ــ ميلادينوف ، الذى عاش حياة طالبية بائسة مهاجرا ضائعا خائفا فى بلاد الغربة مريضا مظلوما وكانت نهاية مأساته ما عاناه من مجن فى سجن القسطنطينية ٠ هذا السجن الذى أسلمه الى الموت فى ظروف غامضة محاطة بالضباب

وفى بداية هذا القرن بدأ حزن قسطنطين ــ الشاب بغنائية غامرة وشعبية بسيطة ــ يصل الى كل لغات العالم ٠ كأجل صوت لامسيات « ستروقا الشعرية » التى تحتضن كل شعراء العالم

وهذه القصيدة تثير مشكلة الرجوع الى الوطن الام وهى فى أيامنا هذه قد تجددت ٠ وهو رجوع بالفكر والحنين والمخيلة ٠ وكثيرا ما يبقى حلما ٠ وحزن « ميلادنوف » يربطه بآلاف المصائر المماثلة له فى الحياة والسجن فى قصيدته سيبقى دليلا متجددا على ان جمال الشعر الحقيقى خالد ومستمر ومفعوله غير محدود لا بزمان ولا بمكان ٠

لكل هذا خلد صاحبها ك٠ ميلادينوف وأصبحت بلاده « ستروقا » مزارا يؤمه جميع شعراء العالم ٠

ليلة شعراء العالم :

كانت حفلة الافتتاح فى مكان مرتفع جدا يشرف على نهر قد انسابت فوقه المركب الشراعية يجدف بها اطفال كلهم دون العاشرة ٠ وقد سلطت من أعلى المنصة أضواء على النهر فالتحم الضوء بالماء ، وانعكست مرايا النهر على وجوه الناس الذين بلغ عددهم فى تلك الليلة ثلاثين ألف مستمع ومتفرج وفى المنصة التى وشحتها أعلام الدول المشاركة،وغمرها الضوء حتى النشوة جلس جماعة من الشعراء يزيد عددهم على المائتين من كل بلاد العالم ٠ اختلفت وجوههم

ولكن قلوبهم التقت كلها على أجل وأجمل ما يلتقى عليه الناس الصدق والحب والتقارب الانسانى

وبعد كلمات الافتتاح الرسمية ٠ القى ممثلـون وممثـلات اشعـارا باللغـة المقدونية كان تجاوب الناس معها ، مبهتا ، فكأننا فى بلاد كل الناس بهـا مـن الشعراء ٠ والفنانين ٠ وقد لا نكاد نصدق اذا عرفنا أن مدينة واحدة هى مدينة «شتيب» بها ثلاثون شاعرا على حسب ما حدثنا أحد المسؤولين بها منهم ثمانى شاعرات ٠

وبعدما اكمل الممثلون قصائدهم ٠ توالى شعراء العالم على المنصة كل يقـرأ بلغته القومية ثم تترجم قصيدته للغة المقدونية وتقرأ بعده ٠ يقدمها ممثـل او ممثلة فى اطار فنى جذاب يضفى على الشعر رواء وجمالا ، وقد يطول التناوب على المنصة ويلفح البرد الليلى الحاضرين وتحمل نسمات الليل بـرد الجبـال القريبة رغم اننا فى فصل الصيف ولكن كل ذلك لا يهم مـا دام هنـاك شعـر يدغدغ احساس الناس ويبعث الدفء فى قلوبهم وفى نهاية ليلة شعراء العالم ٠ قدمت جائزة المهرجان وهى عبارة عن سنبلة ذهبية تزن اكثر من ثلاث كلغ من الذهب الخالص الى الشاعر الفرنسى « أوجان ثيفلك » وهو الـذى سنتحـدث عنه فى ليلة الكنيسة الاثرية وهى الليلة التى خصصت للاحتفاء بـه خـاصة ولالقاء قصائد من شعره باللغة الفرنسية

ومن بعده قدمت جائزة المهرجـان التقديريـة الـى الشـاعر اليوغسلافـى « اكو سوبوف »

« العصفور الذى استحال الى نجمة »

دخل « سوبوف » عالم الشعر فى الوقت الذى دخل فيه عالم الثورة فتجـدد مفهوم الشعر عنده بمفهوم مصير الانسان ٠ ومن واقعه الحياتى طبـع شعـره بطابع انسانى فريد فيه الحماسة وفيه العمق وفيه اشتعال جـذوة الاحساس الحاد بما يحيط به ٠ وبذلك جاء شعره مؤكدا أن الشعر هو رد فعل عنيد ناتج عن تحرر انسانى قوى وكامل ٠

وهذه العلاقة الكبيرة بين الشعر والثورة عند « سوبوف » نجد تعبيرا عنهـا فى قول « كولزا » « كل انسان حسب قوانينه الحياتية الاكثر عمقا مجبور أن يجعل من حياته قصيدة »

ومما اكدته تجربة « اكو سوبوف » الشعرية خلال ثلاثة عقود ونصف أن الشعر والوجود وحدة لا تتجزأ ، وهو ما جعله يتجه نحو المأساة الانسانية ويبحث عن جذور فى زوايا الانسان العميقة • مكتشفا لقاءنا بأنفسنا وبكل حقائق الحياة المأسوية• وحقائق هذا العالم الذى خرج من حرب انسانية مدمرة وهو يتوجس حدوث تصادم آخر غامض •

وفى هذه الفترة أحس « سوبوف » أن الشعر ضرورة • وهو برهان على أن عالمنا هذا يمثل تكوينا روحيا وأخلاقيا جديدا للانسان والحياة • ومن هنا جاء شعره متلاحم الاجزاء من ناحية المبنى والناحية الجمالية والفلسفية •

واذا كان لكل شاعر خارق وغير عادى كتاب أو قصيدة أو بيت تحدد مفهوم تجربته الشعرية وعلى أساسها يتكون عمله الشعرى الخاص • فان هذا الكتاب فى شعر « سويوف » هو « مفهوم الوجود » الذى يملا شعره بحرارة خافتة وحزن سلافى وصبغة سوداوية تعوده بين الحين والآخر

ولنتأمل فى احدى قصائده « الانسان عظيم والمحيط صغير » ، هل يعنى هذا تأليه الانسان التقليدى الرومانطيقى ؟ لا ان الانسان بالنسبة لسوبوف عظيم وعظمته لا تقدر فهو أعظم من المحيط • ولذلك تراه يشبهه بهوة بعيدة العمق ليس لها نهاية ولا نستطيع ادراكها •

« أيها الانسان ، يا عصفورا استحال الى نجمة مسامحة من يظن انه فهمك ، لا يعرف ما هى الهوة »

فالانسان هو هذا اللغز الخالد ، هو سفاك الدماء والمأسوى ، هو الذى يفهم كل شىء ويهتم بكل شىء ويعطى لكل شىء معناه • لان الانسان ليس فقط اكبر المصلحين فى التاريخ لكنه ايضا اكبر المخربين وبما انه يعتقد فى القوة البناءة فى الانسان فهو دائما يعيد فى قصائده هذا المعنى « يجب أن نكون أطيب » والخاصية الكبرى فى نظرة « سوبوف » للانسان • هو أن كل ما لمسه وما طبعه بأثره لا يضيع فى العدم والانسان يبقى ما دام عمله باقيا

خذينى أيتها الارض أو اتركينى

دحرجينى الى أسفل من هذه القمة

أعطينى قوى انسانية من جديد

آه يا أرض ارجعينى الى الارض

أنا انسان وسأتكلم كانسان

وبذلك ينحصر الانسان فى رموز محدودة أو آثار تبقى بعده يؤكد نفسه من خلالها وتشع بعدما يترك الصراع مع الحياة :

يا جذع شجرة منعزل فوق الربوة

يا ألما فى الارض الهادئة

من أعطاك عينى اللتين تنضجان فى نعاس أوراقك

يا نظرة خضراء لشجرة خضراء

من حكم علينا بالسهر

يا جذع شجرة منعزل فوق ربوة

يا ألما فى الارض الهادئة

من أين جاءتنى أعماقك

كيف صرت أنت فى دمى

من الذى محا بيده كل الابعاد وكل الاشياء المجاورة

ومن خلال قصيدة أخرى بعنوان « قارىء الرماد » ـ « أكوسويوف » نلمس مدى المعاناة الحقيقية وسياحة الشاعر فى عوالم الازل وراء البحث عن حقائق جهلها الناس · وعونه على الوصول الى كل ذلك ما اكتنزه من اسرار الكلمات الخفية التى تشع بالضوء النافذ وراء الاشياء الغامضة :

يا قارىء الرماد هل تعرفت فيه عن المأساة الاولى الآتية من أعماق الاصل المظلم

أيتها الاغنية ، لقد اخرجتك من منقار عصفور يعيش فى دمى ، من سماء عروقى الملتهبة الحمراء

من سوارى عالمين لا يتصالحان

من اشراقات الشمس التى لا تتغير

أخرجت من غضب الايقونات هذه الصور الغامضة من خيوط شبكة المحارب المصنوعة من الصخر

ان قصائد سوبوف هى خيوط واقع معاصر عاشه الشاعر الذى ما زال فى العقد الخامس من عمره فى أوج عطائه ، وخصوبة ايام حياته ، ونحن رغم البعد المناخي ، والظروف الحضارية ، التى تفصل بيننا قد وجدنا عنده رصيدا من الاشياء العظيمة التى يحلم بتحقيقها كل شاعر ويجد فيها كل قارىء مهما بعد المناخ الملائم لطموحاته وأحلامه كانسان يبحث عن طمأنينته وراء الكلمة الصادقة الطيبة التى تعمل فى النفس ما يرتفع بها الى الاسمى

ليلة الكنيسة الاثرية :

كانت اقدم كنيسة فى « استروڤا » المقدونية تشهد معالمها بما مر عليها من تغييرات حمل كل واحد منها تاريخ حقبة بأكملها • ولعل أقربها هو ما أحدثه الاتراك فيها من طمس لزخارفها الكنسية التى ابدع فى تزينها الروم الشرقيون وتحويلها الى مسجد لطائفة المسلمين بمقدونيا ، لقد دار الزمان دورته التقليدية وعادت الكنيسة الى ما كانت عليه ، ولكن شيئا واحدا بقى ماثلا لم يتحرك انه المحراب الذى نصبه الاتراك فى بهو الكنيسة الكبير قطعة من الصخر قد نحتت على شكل متساو بديع يوحى للمسلم بالرهبة والخشوع• ويشعر عند رؤيته بعظمة التاريخ وهيبته • كان المسؤول يشرح لنا الفترة التى مرت بمقدونيا وكنيستها أيام الاستعمار التركى ، وكيف بقى العمال طيلة اثنى عشر عاما يعملون على اظهار الصور التى طمسها الاتراك • وكان ذلك مجهودا جبارا ، الا انهم أصروا على ابقاء المحراب كمثل يوحى بما للتاريخ من فعل فى الاشياء والناس وقد عبر عن شموخ المحراب شاعر عربى كان معنا فقال :

وقائم يتحدى غير مكترث رغم القرون ورغم القيل والقال

وفى البهو الكبير بهذه الكنيسة الاثرية كانت لنا ليلة من اجمل ليالى مهرجان « استروڤا » استمعنا فيها الى ابدع الالحان من فرقة « زغرب » الموسيقية التى ابدعت فى عزف الموسيقى المقدونية القديمة بما فيها من لون شرقى وزخرف سلافى وتخللت ذلك قراءات لشاعر المهرجان «يوجان فلليفك» الذى تحصل على جائزة السنبلة الذهبية لمهرجان اسروڤا فى سنة 1976

الاشجار والهياكل وانتصار الصمت :

كانت تلك الليلة هىليلة الاحتفال بالشاعر الفرنسى الكبير «اجان فلليفك» اجتمع فيها من الناس كل من وقع استدعاؤه من رجال الحكومة والسلك

الدبلوماسي وكل المهتمين بالادب والفن من اهل مقدونيا ورغم أن الدعوى خاصة وليست عامة الا ان القاعة الكبيرة اكتضت اكتضاضا لا مثيل له ٠ وبعد الافتتاح صعد المنصة شيخ في العقد السادس من عمره تشبه ملامحه ملامح محارب تترى ، كان كل ما فيه يوحي بالعظمة لحيته وشعره المتهدل وعيناه النافذتان من خلال النظارة الى بعيد ٠ وقف ثم كتف يديه وتدفقت الكلمات من فمه سريعة واضحة النبرات كأنها خرير جدول رقراق ، وقرأ « الاشجار » احدى قصائده الرمزية التي يرمي بمعانيها الى اكثر ما في الفاظها القليلة

كثير من الاشجار الواقفة
لا تنتظر سوى الصمت
آه يـا رفـاق
تحدثوا الى من يصدقكم
وكونوا متحققين من زمنكم
هذا الذي غالبا ما تركته الايام فارغ اليدين
ربما خلطتم صمته بصمتكم
غذوه بالساعات التي خبأتموها
احضنوه بالليالي التي تستولون عليها

وانصرف الى مكانه في صمته ، ثم ظهرت على المسرح زوجته ٠ سيدة في حدود الثلاثين اميل الى الكآبة منها الى المرح قوام كما قيل في القديم من الاغصان الخيزرانية ، ولباس في بساطته لم تر العين ، وهي تبدو في تمام مظهرها كأميرة بابلية ، وهم من أوهام التصور الخيالي

وقفت تقرأ شعر زوجها ، وكأنها ترتل ـ وهي في الكنيسة ـ آيات المزامير
البحر يا ابنتي ـ كما فكرت ـ ليس هدية
يمكن ان تقدم لك
الموجة يا ابنتي عالم آخر

تكسرها الساق ولا تحير جوابا

الافق يا ابنتى سيد عظيم

سيد عظيم يحتضنك عندما تفتحينه

الرقصة يا ابنتى – التى أستطيع ان اعلمك اياها هى فىعينيك وستتبعينها

والامل – يا ابنتى – اقوى من البحر

أقوى من ...

من الموجة ومن الرقصة

وترتعش الورقة فى يدها وتتهالك على اسطرانة البهو الكبير ، ماسحة بيدها دمعة حزينة سقطت كما تسقط لؤلؤة الندى غب فجر بارد شفيف وتضج القاعة الكبرى بالتصفيق وكأنها استفاقت لتوها من دهشة الكلمات العذبة . وعادت ولا شىء لديها غير التعبير عن اعجابها بالتصفيق الحاد

وفى نهاية الحفل طلب من « فليفك » ان يلقى كلمة . فوقف فى مكانه قائلا:

لقد استقبلت فى هذا الحفل كما لم يستقبل من قبل ملك من ملوك أثينا القديمة وانى سالقى عليكم بدل كلمة الاطراء والشكر لفضلكم الكبير أغنية ، سأغنى أغنية فرنسية قديمة

وانطلق يغنى فى صوت خافت اكسبه جلال السنين هيبة . وأنصت الحاضرون لشيخ الشعر ابو الاغانى العذاب ، يغنى الانسان فى أغنية تماوجت بين زمنين زمن الناس الغارق فى تخوم الابد ، وزمن الشاعر الذى لا يعرف البداية ولا يعترف بالنهاية .

الوجه الآخر للمأساة

شعر: مصطفى الحبيب بحري

ماذا بعد النفحات الصيفيه ؟
ماذا بعد النغم الدافىء
الموج الأزرق يعزفه فى ليلة حب عذريه ؟
ماذا ..؟ من أوصد أبواب الشاطىء
فى وجه الأشواق الظمأى لمعانقة الموج الهادىء ؟
يا للأشواق الصوفيه
وأدتها غيلان الاعصار
قذفتها فى جوف التيار
فى يوم من أيام الرعب
يا للأشواق ويا للقلب

* * *

يا يوسف كفكف عبراتك
واشرب فى صمت آهاتك
فالبئر عميق
والقافلة ارتحلت
الاخوة ما رحموا يعقوب انسلوا فى أخدود الليل
تركوك وحيدا فى بئر الغربه
لا تبصر شيئا مما فى القاع الأسود

لكنك تبصر أوهام الماضى
وتلوح لك الأحلام النوريه
إذ أنت تقص على يعقوب صدى الرؤيا

* * *

يا يا يوسف
أقسى من أن يقف الزمن العاثر
فى وجهك يوم البئر ويوم البيع ويوم القطع
أن يحيا إنسان شاعر
مأساتك فى جوف البئر الأسود
فالله اختارك للمحنه
ليخلص قلبك من أسر الدنيا
ويعلمك الحكمه
أما الشاعر
فلماذا يحيا مأساة التجربة المره
فى أعماق الظلمه
يجتر رؤاه على الباب الموصد ؟

* * *

يا يا يوسف
فى قلب الشاعر أمنيه
أن تطوى أبعاد الماضى
ويعود الأمس كما كانا
فى حضن الشاطىء والزورق
أتراها تفتح يوما أبواب العوده ؟
أو يرجى أن تنهد الأسوار الفولاذيه
ويعود الشاعر للحن الدافىء
الموج الأزرق يعزفه فى ليلة حب عذريه ؟

غـــــروب

بقلم : البشير المجذوب

مسرح صامت بليغ هى الطبيعة خاصة فى المساء اذ « تتأنس » فتبرز فـى أغرب الهيآت والمواقف وكأنها تترقب فى لهف ان تبعث من مرقدها وجمودها، تدعو الانسان وتناغيه ··· تراوده وتغريه بالحوار والوصال ···

هذه شجرة يلوح لك من بعيد نصفها الاعلى فاذا هى المروحة الفاخرة الهائلة رائعة الانتصاب فى سكون

شجرة أخرى أم امرأة انحنى صدرها الى الامام ، وتهدل شعرهـا ضفائـر كفروع الدوالى او العناقيد ، تستر جاهدة عريها فى حيـاء مثير !؟·· الجارية الحسناء قد تعرت تبترد

وهذه ردت شعرها الى الوراء ، وقد تأنقت فى تصفيفه وتظرفت ، وكأنهـا تباهى بحسنها الحضرى وذوقها المترف بساطة الريف وخشونته

أغصان رقيقة لطيفة ·· وريقات تتدلى فى رفق كأنهـا بجـانب الكليتوسة العملاقة ذيل فستان تتلاعب به الريح ··

عود كأنه الساعد المقطوع لم يستصلح للحياة ·· صنوبرات مقشرة جرداء جفت وتقلصت تنتظر صاغرة أن تشيع الى المقبرة

شجرة فقدت توازنها تتماسك جهدها حتى لا تقع على ظهرها فـلاذت بمـن جاورهما من اخواتها مستندة اليها فى توسل واستعطاف ·

واخرى مشطورة بقى نصف منها ثابتا صامدا كأنها من ضحايا الحرب شقها سيف جبار ضربة واحدة ·

وهذه بارعة الحسن فى منتهى الاعتدال والانسجام والظرف والبشاشة ٠٠ رمز حى للحبيب فى نضرته المتجددة وشبابه الدائم ٠

رائحة عنبرية الطعم ندية الشذا تترقرق فى الهواء دسمـة خفيفـة محببـة مأنوسة ، كأنها البخور المحتشم الرقيق يعرج فى الفضاء رويدا يزيده الدفء ذكاء ولذاذة ٠٠

ويستجيب لك الحسن سلاسة وامكانا ، وكأنما أصغى الى شوقك واعجابك وأثرت فيه نظرتك فيستحيل فى ضرب من السحر ويتطور حتى يبلـغ الاوج ، وقد فنيت فيه التحاما واتحادا ٠٠٠

وتتأمل الشجر فى روعة العتمة الوليد ، فاذا هى قد فقدت ثقلها وكثافتهـا فخفت وشفت ، وبدت لك فى قرارها وطمأنينتها أطيافا نورانية ٠٠ كائنـات هوائية منتصبة فى الفضاء ، قد قطعت صلتها بالارض ، وكأنها تطل من الغيب فهى فيه واليـه ٠٠

أهل تونس لا هانوا ولا غُلِبُوا

شعر : جلال الدهان
«سورية»

سلى فؤادى عن الخضراء يا حلب ... فان فيها الهوى قد طاب والطرب
عرائس من بنات البحر تسحره ... قوامهن ، كغصن البان ، منتصب
واعين ما حباها الله من حور ... يكفى لجعل عقول الناس تستلب
هنا جنان بلا رضوان يحرسها ... يؤمها الخلق ان اضناهم التعب
فالحسن والماء والاشجار قد جمعت ... فى بقعة عجزت اخفاءها السحب
الشمس تغمرها تبرا بمشرقها ... وعند مغربها الآفاق تلتهب
كالارجوان على خد به خفر ... تزهو به الغيد لونا زانه الأدب
فوق الشواطىء تلقى الحور راقدة ... والبحر يبعد حينا ثم يقترب
كانه عاشق يخشى ملامسة ... تثور منها شكوك كلها ريب
فيستكين فلا موج ولا زبد ... كانه خمرة ما شابها حبب
فان صحت حورنا نشوى تداعبه ... تراه بعد سكون عاد يضطرب
يدغدغ الجسم طورا وهى تضربه ... والجو تملؤه الآهات والصخب
هنا يعيش الهوى كالطفل منطلقا ... فليس يخجله قفز ولا لعب
فيا نعيما ، به لم افتقد بلدى ... لقد تحقق فيك الحلم والارب
أرى الكواعب تمشى غير نافرة ... تميس تيها على شط به اللبب
أو بنت كرم اليه المسك يجذبها ... وقد ثنى جذعها النهدان والعنب

ممشوقة القد والاوراق تثقلها — والثدى ثائرة والخصر منشسب(I)
وفى جزيرة (جربة) ملتقى أمم — لا هم يشغلها أو خوف أو سغب
الا الهوى ولقاء بين من عرفوا — طعم الحياة اذا ما ابعد الشغب
يا فتية فى حمى الخضراء اذكرهم — كالأهل صاروا فلا لوم ولا عتب
اذا تركت فؤادى فى ديارهم — فان أرض بلادى منزل سقب
وان نأيت فلا بعد يفرقنا — ففى السماوات،روحا،تلتقى الشهب
ملاحم المجد فى الشهباء ينشدها — أهل بتونس لا هانوا ولا غلبوا
بل انهم ، دائما ، كانوا اشاوسة — يهزهم كل نصر ناله العرب
فليس عجبا فؤادى ان علقت بهم — بل ان سلوت فذاك المسلك العجب

ج٠ د٠
دمشق فى 1975/6/26

(I) منشسب : ضامر ٠

الأخلاق في الأسرة
بين الأصالة والتحديات المعاصرة

بقلم : الدكتور فاضل الجمالي

موضوع على غاية من الاهمية يهم كل البلاد النامية التى تنتقل من طور التخلف والجمود الى دور التطور والازدهار · انه يمس التفكير التربوى فى الصميم اذ هو يتطلب فلسفة تربوية واجتماعية واضحة وصريحة عليها يتوقف نشوء الامة وازدهارها وبها تضمن وحدة الامة وانسجامها · فلو تمسك بعض الناس بالقديم باسم الاصالة وتمسك البعض الاخر بتقليد الغرب تقليدا سطحيا باسم التجديد تكون الامة قد انشطرت وهذا ما لا يقبله مفكر عاقل· فما نريده لامتنا هو أن تكون أمة واحدة موحدة تعتز بشخصيتها القومية وتراثها الروحى من جهة وتقتبس من المعاصرة أحدث الاساليب العلمية والتقنية والتنظيم الدمقراطى الحر من الجهة الاخرى ·

ولاجل الخروج من البحث بنتيجة ايجابية واضحة يحسن بنا تحديد معانى كلمات اربع هى : الاخلاق والاسرة والاصالة والتحدى المعاصر ·

الاخلاق فى نظرنا هى السلوك الارادى الذى تقره المجتمعات البشرية لضمان بقائها وازدهارها · وهذا السلوك يكون فرديا وجماعيا فى الوقت نفسه · وكل سلوك يضمن سلامة الفرد والمجتمع بل والانسانية عامة هو سلوك اخلاقى وكل سلوك يضعف ويضر الفرد والمجتمع بل والانسانية عامة

(*) محاضرة القيت فى صفاقس بدعوة من المنظمة التونسية للتربية والاسرة بتاريخ 11/3/1977

هو سلوك لا أخلاقى فكل من الصدق والامانة والتعاون والخدمة العامة والغيرية والوفاء سلوك اخلاقى لانه يقوى الفرد والمجتمع بل والانسانية عامة. أما الكذب والخيانة والسرقة والزنا والسكر والقمار فانه سلوك لا أخلاقى لانه يضر بصحة الفرد والمجتمع ويضعف العلاقات الانسانية .

والاسرة هى الجزئية الانسانية التى يتكون منها الجسم الاجتماعى وهى التى تضمن بقاء المجتمع وتحقق قوته وازدهاره وهى تتكون من وحدة الزوج والزوجة والابناء . فاذا كانت الاسرة صحيحة البنية قوية كانت الامة صحيحة وقوية واذا كانت الاسرة هزيلة متفككة كذلك يكون حال الامة .

والاصالة هى المميزات الشخصية ذات القيمة الحياتية للامة . فكل ما يميز الامة ويعمل على ازدهار شخصيتها هو اصالة ، فليس الفقر والتخلف او الجهل والخرافات من الاصالة فى شىء . أما الدين واللغة والاداب الخالدة والفنون الرفيعة والصناعة الدقيقة ، والتجارة والزراعة والفروسية فهى مما يكون الاصالة لاية أمة من الامم . والاصالة فى الاسرة الاسلامية ليست فى تغليب المرأة او جهلها او استبداد الرجل بها انما هى الاخذ بروح الوحدة والمودة بين الزوجين والتى نص عليها فى قوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى **خلقكم من نفس واحدة** وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... »

وقوله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. »

فالاصالة فى الاسرة الاسلامية هى فى الالتحام والوئام والمودة والرحمة وليست فى سيطرة الرجل وجبروته أو فى جهل المرأة وحجرها .

والتحديات المعاصرة هى القوى المادية والفكرية والاجتماعية التى تأتينا من الخارج سواء اكان ذلك باختيار منا كما هو الحال فى اقتباس العلوم والتقنيات والتنظيمات . أو التى تأتينا عن غير قصد منا بواسطة الصحافة والاذاعة والتلفاز والسنما والكتب التى قد تحمل فى طياتها ترويجا لآراء قد لا تنسجم مع اخلاقنا ومعتقداتنا الدينية او انها قد توحى بالاجرام والاباحية وتشجع تعاطى المسكرات والمخدرات . فكل هذه العوامل غير المقصودة وغير المطلوبة من الخارج أصبحت تؤثر فى سلوك الافراد والجماعات فى مجتمعاتنا وتنفذ الى اعماق الاسرة .

اذن فالتحديات المعاصرة تنقسم الى صنفين أحدهما ايجابى بناء يتناول العلم والتقنيات وتطبيقها على الصحة والزراعة والصناعة والمواصلات والبناء والاقتصاد النير والعمل المجد والتنظيم المحكم والتفكير السديد • والصنف الاخر سلبى هدام لا اخلاقى حين يضعف الفرد والمجتمع كالعلل الاخلاقية والاجتماعية التى أشرنا اليها توا •

ان الاخطار التى تتسرب الى الاسرة الاسلامية متأتية ولا شك من الصنف السلبى من التحديات المعاصرة وليس من الصنف الايجابى البناء • ومما يشجع على تغلب القسم السلبى ويزيد فى خطورته عاملان احدهما مادى والآخر نفسى • اما العامل المادى فيتمثل فى انتشار وسائل النقل والمواصلات الحديثة وتكاثر المعامل وانتشار المدارس التى تسبب تباعد افراد العائلة عن بعضهم وضعف الاتصال فيما بينهم الا وقت المساء • اما العامل النفسى فيرجع الى أن فى هذه التحديات السلبية اغراء وفيها تسلية ومتعة يضاف الى ذلك شعور البعض منا بمركب نقص ازاء ما يأتينا من الدول المصنعة شرقيها وغربيها • فما يجرى فى تلك البلاد هو المثل الاعلى عند البعض منا يحاول اقتباسه وتقليده بدون فحص كاف او تمييز بين الغث والسمين • متغافلين عن أن فى الغرب اليوم عللا وامراضا منشؤها ازدياد الثروة والافراط فى البذخ والرفاه وممارسة الاباحية والفوضوية باسم الحرية والهبوط الى الديماغوجية باسم الدمقراطية • وتراخ فى الحياة الدينية والتساهل فى سيطرة الانسان على سلوكه وشهواته • وهذا ما أصفه **بأمراض الشيخوخة** فى المدنية الغربية •

فالمدنية الغربية يوم بدأت بالرقى والازدهار كان يسودها الجد والكد ويعلوها الضبط والنظام والدقة والاتقان والسيطرة على النفس وفقا لقيم دينية واخلاقية كان قد وقع الاختيار عليها • ولما بلغت المدنية الغربية أوج عزها واخذت تستولى على الشعوب والمستعمرات بدأت أمراض الشيخوخة تدب فيها فبدأ ينتشر فيها التحلل الخلقى والاجرام بشتى انواعه وتعاطى الكحول والمخدرات ومما تعانى منه المدنية الغربية فلسفات قد تستسيغ الرفض والعنف والشعور باليأس والغربة والصراع الطبقى والقطيعة بين الاجيال والالتجاء الى الاعمال الفوضوية والاضرابات غير المشروعة والمظاهرات الصاخبة • ومن المؤسف حقا ان يعتبر البعض ممن ابتلوا بمركب النقص عندنا أن التقدمية هى فى الاخذ بكل ما فى الغرب من اساليب الحياة بما فى ذلك **امراض الشيخوخة** بل والتأكيد على الاخذ بامراض الشيخوخة بدل التأكيد على عناصر القوة المادية والمعنوية التى توجد فى الغرب • وهأنا أذكر على سبيل

المثال حادثين يمثلان لنا درجة التأثر بالتحديات السلبية من المدنية الغربية أولهما : حادث يستوجب الضحك والاسف فى الوقت نفسه · ثلاث آنسات مسلمات يحتسين كؤوس « البيرة » فجاءت رفيقة رابعة لهم فما كان منهن الا ان قدمن لها كأسا فاعتذرت لانها مسلمة لا تتناول الكحول فما كان منهن الا أن خاطبنها قائلات : Vous êtes arriérée أى « أنت متخلفة »

الحادث مضحك ومؤسف فى الوقت نفسه · وللمرء أن يتساءل من « الآربى رى » الانسات الثلاث الناسيات او الجاهلات لاحكام دينهن واستعمال لغتهم أم الانسة التىامتنعتعن تناول الكحول المسبب للعديد من العلل الصحية والاجتماعية ؟ لا شك فى أن لهذا الوضع صلة مباشرة بالتربية الاخلاقية فى العائلة ·

والمثال الثانى شاب مسلم درس فى جامعات الغرب وعاد الى وطنه وتزوج سيدة من ابناء قومه · رزقا طفلا هو فى السنوات الاولى من عمره لا يكلمونه الا بلغة اجنبية فالطفل محروم من سماع لغته القومية فى بيته · أما المتزوجون بالاجنبيات فالبعض منهم قد يستسلمون لزوجاتهم الاجنبيات فيحرمون أطفالهم من نعمة النشوء على اللغة والثقافة القوميتين ·

هذان مثالان بسيطان للتحديات المعاصرة ذات الصبغة السلبية الهدامة ومع أن هذه الحالات ما تزال نادرة الا ان الامر يتطلب وعيا شاملا وعزما أكيدا على الاحتفاظ بالشخصية القومية وتنميتها والتمسك بالفضائل الاسلامية فى داخل العائلة وفق خطة متفق عليها بين الوزارات المختصة والمنظمات الشعبية والثقافية ·

اما وقد عرفنا باختصار ما نقصده بالاخلاق وبالاسرة وبالاصالة وبالتحدى المعاصر فها نحن نتقدم بالاقتراحات والآراء التالية :

1 ـ الاتفاق على فلسفة اجتماعية ـ أخلاقية موحدة وموحدة للامة :

ان الازمات الاخلاقية والاجتماعية التى تتعرض لها الاسرة ترجع فى الغالب الى واحد من عاملين : الاول هو الجهل والانغلاق الفكرى وهذا هو التخلف الذى نرجو ان يكافح من قبل ابناء الامة جميعهم بكل همة وحماس فنحن نحتاج الى معرفة صحيحة وتطبيق مخلص للاخلاق والفضائل الاسلامية · وثانيهما تقليد سطحى لما وصفته بأمراض الشيخوخة من المدنية الغربية ، معتبرين

الظواهر جوهرا والامراض عافية أى قلب المفاهيم ٠ وهذا ما نأمل ان يدركه شبابنا وشاباتنا فيقوموا بانشاء أسر صحيحة غير معتلة ٠

ان الاختيار الصحيح لنا هو الاخذ بكل عوامل الرقى وبكل الفضائل الموجودة فى ديننا وفى تراثنا وصقلها وتنميتها فى حياتنا الخاصة والعامة ٠ فالصدق والعفة والشرف والكرامة والاعتدال فى السلوك والتعاون والايثار والتضحية وتحمل المسؤولية كلها اخلاق اسلامية لا يستقيم المجتمع بدونها، ثم الاستفادة من كل العلوم والتقنيات التى ازدهرت فى الغرب لإسعاد الانسان ورفع مستواه الادبى والمعاشى ٠ فالفلسفة الاخلاقية ـ الاجتماعية التى نحتاج اليها تجمع كل عناصر القوة فى تراثنا وتوحده مع كل عناصر القوة التى برزت فى المدنية الغربية مكافحة عناصر الجمود والخرافات المتعلقة بتراثنا من جهة وعناصر التفسخ والانحلال المتأصلة فى المدنية الغربية من جهة اخرى ٠ الامر الذى يستدعى تخطيطا حكيما واعيا يساهم فيه المسؤولون من رجال الدولة ورجال الفكر من أساتذة علوم الدين وعلوم التربية والاجتماع والقانون وعلم النفس متعاونين مع المنظمات القومية والشعبية ٠

ان تخطيطا كهذا نرجو ان يستهدف القضاء على الانشطار والثنائية التى نشاهدها فى مجتمعنا المعاصر حيث ان البعض يتمسكون بالقديم وحده باسم الاصالة والبعض الاخر ينجرف فى التيارات الغربية وما تحمله من عناصر الانحلال والتفسخ باسم التجديد ٠

2 ـ **دور الاسرة اساسى فى تشييد البناء الاخلاقى :** لا يختلف اثنان من ذوى العقل السليم بان حياة الامة ونجاحها انما تعتمد بالدرجة الاولى على سلامة اخلاقها ودور الاسرة اساسى ورئيسى فى بناء الاخلاق ٠ فالمأمول ان تسود فى اسرنا اخلاق مؤسسة على الصفاء والوئام بين الزوجين ٠ الصفاء والوئام المؤسسين على العقل السليم والعاطفة الصادقة التى تتمثل فى المحبة والصدق والثقة المتبادلة والايثار والشعور بالمسؤولية الخاصة والعامة ٠ والمسؤولية الخاصة تكون بين الزوج والزوجة فكل منهما مسؤول امام الله أولا وأمام زوجه ثانيا ٠ أما المسؤولية العامة فهى تجاه أمتهم ووطنهم وهى تتضمن انجاب الاطفال وتربيتهم تربية صحيحة متكاملة وغرس الاخلاق الفاضلة والمثل العليا فى نفوسهم ٠ وها نحن فيما يلى نشير الى بعض النواحى الاخلاقية الهامة التى يؤمل من الاسرة ان تعنى بتنميتها فى اطفالها :

الاخلاق الضرورية للصحة والسلامة الجسدية : فالطفل من السنة الاولى من حياته ينبغي أن ينشأ على تجنب المخاطر ولا سيما المخاطر المتأتية عن النار والكهرباء والمواد السامة وبعد ان يبدأ بالدبيب ينبغي حمايته من حوادث الطرقات وتعويده على الرياضة والنظافة والغذاء الصحي بلا بطر ولا تبذير • ثم حمايته في سن الدراسة الابتدائية وما بعدها من التدخين والكحول ولابد من تدريسه أضرار هذه المواد واخطار الابتلاء بتعاطيهما •

الاخلاق الاجتماعية : الطفل من صغره ينشأ على اللطف والادب في معاملة الاخرين ويتعلم آداب التحية والايثار بتقديم الغير على نفسه وعدم الاعتداء على حقوق الغير • واذا وجد الطفل في حفل او اجتماع يعود على السكون والاصغاء بصبر وأناة •

الاخلاق المدنية : البيت يضع الاساس في تنمية حب الامة والوطن والاخلاص والتفاني في خدمة الدولة التي تؤمن له سلامته وتعمل لتحقيق نموه واسعاده • بحيث ينشأ انسانا يعتز بمقومات شخصية أمته من دين ووطن ولغة وتراث ويقدس العلم الذي هو رمز بلاده ويتحمس في انشاد نشيده الوطني ويحيي زعيم أمته •

الاخلاق الاقتصادية : الاسرة تغرس في الطفل حب العمل المنتج وتشجع الطفل على المشاركة في خدمة البيت سواء أكان ذلك عن طريق القيام بمهام يكلف بها كشراء حاجة من السوق أو القيام بعمل تنظيف او ترتيب في البيت أو الاشتغال بالزرع والعناية بالحيوانات او مساعدة الوالد في الحانوت • المهم هو تشجيع الطفل على المشاركة في عمل يدوي منتج ومفيد وغرس حب الاتقان والمثابرة • والعائلة تعلم الطفل معنى الكسب الحلال وقيمة الدراهم والحرص على عدم ضياعها أو تبذيرها مع التأكيد على الامانة ومراعاة حقوق الغير •

الاخلاق الرياضية : اللعب فرصة ثمينة لغرس الاخلاق الرياضية في الطفل فيتعلم الطفل قواعد اللعب وانصاف الطرف المقابل ويغضب ازاء الغش والمحاباة • وفي وسع الاسرة ان تمارس اللعب الحر مع الطفل من بداية دبيبه •

الاخلاق العلمية : الاسرة تغرس في الطفل حب الملاحظة والتمتع بعجائب الخليقة كما تعوده على القياس والدقة في الحساب وتمكنه من العناية بالحيوانات والنباتات الاليفة ومشاهدة تكاثرها ونموها • الخ ••

الاخلاق الدينية : العائلة تغرس فى الطفل حب الخالق عز وجل وشكره وحمده على نعمه الجمة فالخالق سبحانه هو الذى رزقه والدين ولذلك وجب ان يتعاطف مع الاطفال اليتامى المحرومين من نعمة الوالدين وهو الذى منحه الصحة ولذلك يجب أن يسعف المرضى ولا سيما ذوى العاهات منهم • ثم ان الطفل يشاهد والديه يؤدون الواجبات الدينية كما انه يشارك فى افراح الاعياد الدينية وفى كل هذه المناسبات تستطيع الاسرة ان تنمى فيه العواطف الدينية عواطف حب الخير والمحبة تربط بين الطفل وبين البيئة التى يعيش فيها

وبكلمة مختصرة ان الاسرة تغذى حياة الطفل من كل جوانبها • فاذا كان الغذاء صحيحا وكافيا كانت التربية صالحة واصبح ازدهار مواهب الطفل الطفل مؤمنا والعكس بالعكس •

3 ـ الاسلوب التربوى فى الاسرة : ان المربى السويسرى الشهير هاينريخ بستالتسى يرى أن يقرن القانون بالمحبة فى البيت فالطفل ينبغى أن ينشأ على احترام القانون ولكن التنشئة ينبغى أن تكون بروح المحبة وليس بالغلظة والقسوة • والاب فى البيت هو رمز القانون والأم رمز المحبة ولا بد لها من أن يوحدا مسعاهما فى تنشئة الطفل • ان بعض العائلات ولا سيما المحافظة منها قد تستعمل الشدة والقسوة فى جعل الاطفال يسلكون السلوك الصحيح ولكن الشدة والقسوة قد تؤديان الى رد فعل فى الطفل بسبب الخوف أو الكبت • فتكون النتيجة التجاء الاطفال الى الكذب او الرياء ومعنى ذلك قضاء على الصدق والامانة والثقة المتبادلة بين الطفل ووالديه • فالعائلة التى يسودها جو سلطوى ديكتاتورى لا تنمى الاخلاق الاصيلة بل قد تسوق الطفل الى الهروب أو الكبت فى حياته وقد ينتج عن ذلك أخطار أخلاقية واجتماعية فى حياة الطفل فيما بعد •

ان التطرف فى الشدة والقسوة فى معاملة الطفل قد يقابله تطرف فى ترك الطفل بدون ضبط أو توجيه أى القاء الحبل على الغارب • فباسم الحرية والتقدمية قد يترك الاطفال وشأنهم يعملون ما يشاؤون ان هذا الاسلوب فى معاملة الاطفال فى الاسرة لا يقل خطرا على مستقبلهم من خطر القسوة والشدة فالتراخى والتسيب فى توجيه الطفل قد يقوده الى اهمال الواجب وعدم الالتزام بالمسؤولية كما انه قد يؤدى به الى الانزلاق فى هوة الفساد وانحلال الشخصية والنتيجة مأساة عظمى تمنى بها الاسرة ويعود ضررها على الفرد والمجتمع •

الاشراقـــات

شعر : محسن بن حميدة

3 ـ قصــة

كان أمير مكدرا
لأنه لم يبل نفسه قط إلا
في كمال الهبات الدنيئــة
كان يتنبأ بثورات عجيبة في الحب
ويتهم نساءه بأنهن قادرات على
أحسن من تلك المطاوعة
المحلاة سماء وبذخـــا
كان يريد مشاهدة الحقيقــة
ساعة اللذة والرضى الجوهريين
ومهمــا كان ذلك
ـ انحرافا لتقوى أم لا ـ
فانه أراده
وقد كان له على الاقل نفوذ بشري عظيم
فقتلت جميع النساء اللاتي وقعن معه

ـ يا له من نهب لجنة الجمال ـ
وتحت وقع السيف باركنــه
فلم يأمر بأخريات جديدات
لكنهــن ظهرن من جديــد
وقتل كل من كانوا يتبعونه
بعد الصيد والمنادمات
وتلهى بذبح حيوانات الترف
وألهب النار فى القصور
وصار يهجم على سائر الناس
للفتك بهم تقطيعا
لكن سواد الناس
وسقوف الذهــب
وجميل الحيوان
لا تزال جميعها بالوجــود
أيمكن الانسان أن
ينتشى اعجابا بالتدميــر
ويعيد شبابه بالقساوة
ولم ينبس الشعب حتى بالهمس
ولم يقدم أحد له مساعدة بآرائه
وكان ذات مساء يعدو فى خيلاء
اذ بدا جن ذو جمال لا يمكن وصفه
بل لا يمكن حتى الاعتراف به
من سيمائه ومظهره
يبيــن
وعد حب متعدد ومركب
وعد سعادة يعجز عنها التعبير
بل لا يمكن احتمالها

وأغلب الظــن

أن الأمير والجــن تلاشيــا
فى الصحة الجوهريــة
وهل من المحتمل الا يكونا قد انتهيا الى الموت
وهكذا اذن قضيا معــا
لكن ذلك الامير قد مات فى قصره وفى سن عادية
اذ كان الأمير هو الجــن
وكان الجن هو الأمير
إن رغبتنا لينقصها الموسيقى العالمة

4 ـ عــرض

مضحكون أشـــداء
قد استغل الكثير منهم عوالمكم
لا حاجات لهــم
ولا اندفاع لاستعمال مداركهم اللماعة
ولا تجربة ممارستهم ضمائركم
حبذا الرجال الناضجون
عيون مبهوتة غبية على غرار ليل الصيف
حمراء وسوداء
وذات ثلاثة ألوان
من حديد مرصع نجوما ذهبية
سحنات مشوهة مرصصة ممتقعة محترقة
بحاحات طروبــة
مشية الالبسة الساطعة القاسية
وهناك بعض شباب
فكيف يشهدون كروب الملاك
مع أصواتهم المزعجة

وبعض امكانياتهم الخطرة
يبعثون الى المدينة
فى لباس مضحك من البذخ المثير للتقزز
يا لأعنف جنان التصعيره الكلبة
لا وجه شبه مع دراويشكم
وأضاحيككم المسرحية
فى أكسية مرتجلة بذوق الحلم المنكر
هم يوقعون أناشيد حزينة
يمثلون مآسى لصوص ونصف أرباب فكهين
فى فكاهة لم يعرفها قط التاريخ ولا الاديان
ومهما يكونوا ـ صينيين أو هوتنتو أو رحلا أو سذجا
أو ضباعا أو ملوكا أو نوبات جنونية قديمة
أو شياطين نحسا
فانهم يمزجون الألاعيب الشعبية والأمومية
بمظاهر السلوك والجنان الحيوانية
وانهم لقادرون على تمثيل الروايات الجديدة
وتوقيع الاغانى الخفيفة
وبما أنهم فى ألعاب الخفة ماهرون
فانهم يتصرفون فى المكان والاشخاص
ويستعملون الهزلة المغنطية
فتلتهب الأعين ويغنى الدم وتتسع العظام
وتسيل الدموع والخيوط الحمراء
وتدوم سخريتهم او رعبهم دقيقة
أو شهورا كاملـة
وأنا وحدى مالك لمفتاح هذا العرض الهمجى

المسألة ... مسألة مبدا

قصة بقلم : عدنان مبارك

كنا نسير بصمت مدقع ٠٠ قد نتهامس بين الحين والآخر ٠٠ ثم نخفي ضحكاتنا بأكفنا وننحني بنصف دورة الى الخلف ٠٠ وكانت شمس العشية تغمزنا من فوق رأس الشيخ فتشع أعيننا ببريق أحمر تارة ، وبعمامة الشيخ تارة أخرى ٠٠ فاذا انتهى الشيخ الاعرج الى آخر نهج السيد عجولة ٠٠ تبصق بعد طول مسير قصير ٠٠ ودار الى داره ٠٠ فننطلق هرجا وصخبا ٠٠ ونطلق العنان لضحكاتنا المحبوسة فتنطلق انطلاقا لا تستوقفه الا ذكرى العصا التي ما انفكت تطرق أقدامنا ٠٠ والتي كانت تمثل بالنسبة لنا الدستور الذى ننضبط به والقوة التي نؤمن بجدواها ٠٠ فنزدرد ريقنا بمرارة ونحس أن طعم الطفولة لا يزال منغصا ما دامت العصى تعيش عند سيدنا المؤدب وقررنا أن نتجاسر على سرقة العصا وعدنا من الغد فما أن قام المؤدب الى شأن من شؤونه حتى تسللت العصا بين الصفوف ٠٠ وتوارت فتوارت معها الانفاس ٠٠ وأدركنا آنذاك فقط خطر ما أقدمنا عليه ٠٠ تفطن الشيخ بعد قليل الى افتقاد أهم آلات العمل من معمله ٠٠ فأمرنا ان نقرأ الفاتحة بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ٠٠ ثم أمرنا بالوقوف ٠٠ وبدأ يجذبنا واحدا واحدا الى ركن من القاعة ٠٠ فأصرت العصا على أن لا تنقلب أفعى ٠٠ أصرت أن تبقى مفضوحة فاضحة ٠٠ فاذا بها بعد بحث لم يطل تنهال على اعصابنا ثم على أقدامنا ٠٠ فتنهك أرواحنا وأجسادنا ٠٠ ولم تكن أمنيتي شخصيا في ذلك الحين الا ان أطرح ذلك الشيخ أرضا فأشبع فيه العصا ٠٠ لا يهم أن أتكبد مشاق النزول والارتفاع بين عدم استواء ساقيه كنت أتمنى أن أفعل ذلك فأرى قداسة العمامة وهي تطرح على الحصير ٠٠ خرجت من الكتاب ذلك اليوم وفي نفسي اصرار على أن لا أعود اليه ما حييت حتى ولو صار الكتاب طريقا الى الجنة ٠٠ لكنني في السابعة من صباح الغد دون تأخر ٠٠ وجدت نفسي أمام المؤدب أردد ببراءة

الاطفال لوحتى متصنعا الحركة الراقصة المعتادة ٠٠ وفى نيتى أن أحوز رضاء الشيخ وعفوه ٠٠ ويوم أن بلغت السادسة من عمرى ٠٠ لم يعد سيدى مؤدبا بل صار معلما ٠٠ « الله ينصر من صبح » ٠٠ صرت أنتهز فرصة المرور من أمام الكتاب لاتكىء على ركن بابه فأصيح بأعلى صوتى بين جلبة الترديد : « سيدى المؤدب يخ٠٠ ويندب »٠٠ ثم أطلق ساقى للريح فلا أسمع ورائى الا جلبة من الضحك ٠٠ ولكن الشيخ الذى كنت حتى فى تهكمى منه أناديه « بسيدى » ٠٠ قد أطلق ورائى ذات يوم من أمسك بى ٠٠ فتذكرت أيام الفلقة ٠٠ ولم يتركنى حتى وأنا أقسم وأعيد مع البكاء بأنى لن أعود لصنيعى ثانية ٠٠ وما تركنى الا وقد أقسم كل عضو من أعضائى أن لا يمر من نهج السيد عجولة أبد الدهر ٠٠

كان جل الاطفال اذا راودتهم أحلام اليقظة ٠٠ يتمنون أن يصبحوا أطباء أو مهندسين فى أغلب الاحيان ٠٠ أما أنا فكنت أتمنى أن أصبح مؤدبا أو على الاقل معلما ٠٠! والفرق الذى أدركته بين المؤدب والمعلم هو ان للاول حصيرا يفرش عليه الاطفال للضرب ٠٠ أما الثانى فلافتقاده ذلك الحصير كان يضرب الاطفال على أيديهم ٠٠! ويوم ان تحصلت على رتبة ضراب الايدى ٠٠ أقيمت الافراح فى منزلنا وفى حينا ٠٠ فحينا لم يعرف بعد غير أفراح الختان والاعراس ٠٠ وكنت وأنا أتقبل التهانى أتفرس فى وجوه الاطفال بشراسة والحظ تحركاتهم وما يبدونه من تهور أو طيش ٠٠! وفى يومها أهدانى أبى رباط عنق ٠٠ ربطته فوق قميصى ربط من لم يربط فى حياته رباط عنق ٠٠!

كنت أنتظر بلهفة بالغة زوال الصيف ٠٠ لهفتى السابقة على بقائه ٠٠ فبزواله سيكون لى عهد جديد٠٠وقبلخمسةأيام منفاتحأكتوبر قصدتالمدرسة للتعرف على المدير وتسلم جدول الاوقات ٠٠ دخلت المدرسة وعلى بعد عشرة أمتار من مكتب السيد المدير ٠٠ وصلتنى الجلبة والهياج والمياج ٠٠ فسميت باسم الله بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وتسللت بعد طرق الاستئذان الى الداخل ٠٠ كان السيد الذى يسمونه مديرا قد أدار به جمعا من القوم بدت عليهم علائم المعلمين ٠٠ وكانوا متشابكين حول توزيع الاوقات والاقسام ٠٠ ودخلت المعمعة حين تسلمت أوقاتى ٠٠ ورأيت تلاعب الساعات بين الصباح والمساء يقابله اصرار سيدنا المدير على عدم المناقشة وعدم قبول التحوير ٠٠ وعلى الطاولة رأينا عصا ٠٠ العصا لمن عصا ٠٠ هكذا كان يقول سيدى المؤدب ٠٠ وتناولت العصا الحديدية أديرها وأنظر اليها باعجاب ٠٠ ونظر الى المعلمون

متعجبين ٠٠ وكانت أفكار تراودني آنذاك ٠٠ أفكاري نحو المؤدب بعد ان كـان يشبعني ضربا ٠٠ واحتمى المدير بالمعلمين من حمى العصا التي كـانت ترتفـع كعصا الاعرج ٠٠ وانتزعت مني العصـا ٠٠ فاذا انـا مجـرد من سلاحـي ٠٠ وتلاقفتني الانظار من كل جانب ٠٠ فتسمرت في مكاني ثم تراجعت الى الخلف ٠٠ خرجت وأغلقت الباب بعصبية وانصرفت ٠٠

سأعود الى القرية ٠٠ سأضرب الارض بقوة وأعيد ضربها ٠٠ فالارض هي وحدها التي تحب الضرب ٠٠ وتضحك للضرب ٠٠ وتنتج أكثر كلما ضربناها أكثـر ٠٠!

سيأتي الزرق والبحار العاشق

شعر : فتحي المصري

رسمتك يا لوحة فى خيالى فتاة على شاطىء البحر تنتظرين مجيئى اليك أنا المبحر العاشق .

رسمتك قلبا كبيرا به يسكن الفقراء وكوخا يمد الظلال لبحارة متعبين من البحر جاؤوا وللبحر هم عائدون .

لأنى أعرف أنى سألقاك يوما بأحد المرافىء أبحرت أبحث عنك .. لأنى أحببتك هكذا بسمة فى فم الفقراء وقبلة بحارة تائهين .

أنا المبحر العاشق

أهوم عبر جزائر مجهولة ، وطئت قدماى سواحل مهجورة ، سفنى عرفتها منارات كل المراسى وأشرعتى داعبتها رياح جميع الجهات .

سألت المرافىء عنك . سألت رمال الشواطىء وحتى الطيور المحلقة الزاعقة

وحبك غنيته للرفاق المحبين ، للبحر ، لليل ، للنجم ، للقطرس الهائم ..

أنا المبحر العاشق

ضياعى طال استمر شهورا .. شهورا .. شهورا ..

ولما أجدك

شربت الخمور معتقة فى البراميل ، عربدت

عربد كل الرفاق ، صخبنا كثيرا ، شربنا كثيرا لننسى ونسلو . وكيف سأسلوك كيف ؟ وأنت بأفقى منار وفى ظلماتى شموع وفى خاطرى أغنيات وفى

النسمات عبير وفى الموج همس وفى البحر نكهه ..

جعلتك فى كل شىء قرار ضياعى

عيناك فى أفقى زرقة أبديه ..

واذ يستحيل الشعاع خيوطا..خيوطا حريرية تتموج، تمتد نورا على صفحةالماء أذكر شعرك ذاك الذى يتدلى جدائل تغفو على كتفيك وترقص فى نشـوة كلما داعبتها النسائم يرسلها البحر منى اليك عبير محبه .

وحين تغنى العرائس (*) فى البحر يشغلنى عن عذوبة أصواتهن عذوبة صوتك يأتى من الافق دفئا ويغمرنى بالهوى والحنان ، فأفهم أنك أرسلت ذاك الملاك الحبيب ليحرسنى من كمين العرائس ..

أنا البحر العاشق

من الأفق آت كنسمة فجر معطرة أو كخيط شعاع ...

سألقاك يوما على شاطىء البحر محفوفة بعيال أتوا لانتظار الاحبة من أبحروا من زمان ولما يعودوا ..

سألقاك حتما . وحين أراك سأصرخ .. أصرخ ..
أصرخ : « جئت أنا والرفاق بصيد وفير .

قطعنا بحورا ، يقولون سبعه

سهرنا ليالى على ضوء شمعه

وجئنا برزق العيال الجياع

وجئتك يا مستقرا به يستريح ضياعى .»

(*) عرائس البحر : مخلوقات خرافية متكونة من نصف امرأة ونصف سمكة . وجدت بين جزيرة كابرى والسواحل الأيطالية وكانت بعذوبة انشادهـا تجذب البحارة نحو الصخور .

المستشفيات بتونس

بقلم : أحمد بن ميلاد

ـ 1 ـ

المستشفيات الاجنبية

مستشفى الصليب المقدس :

يرجع تأسيس المستشفيات الاجنبية بتونس الى أوائل القرن الثامن عشر حين بدأت تظهر بأوروبا نفسها ، وكان الغرض منها اسعاف أسرى المسيحيين الذين تكاثر عددهم بسبب القرصنة التونسية فى البحر الابيض المتوسط التى اتسع مداها وعظم انتشارها ·

وكانت لهذه المستشفيات صبغة دينية ويشرف عليها الرهبان الذين يباشرون فيها العلاج بأنفسهم رغم عدم كفاءتهم لذلك ··

أسست لاول مرة سنة 1133/1720 هيئة الرهبان الثالوثيين السبنيول (1)

---

(1) هيئة الثالوثيين أسست سنة 1198 م لفداء الاسرى المسيحيين من ايدى المسلمين فى الحرب أو القرصنة فى البحر الابيض المتوسط من طرف المغاربة والجزائريين والتونسيين والليبيين والاتراك وكانت تجارة الاسرى بتونس تدر الكثير على أصحابها من ارباب القلاعى ورياس المراكب والدولة التونسية نفسها كان لها عشر الغنيمة وكان فداء الشخص الواحد يتراوح بين 1500 ريال و 3000 واكثر من ذلك حسب مكانة الاسير وكانت الاشغال العامة بتونس منوطة بالاسرى ·

مستشفى بالعاصمة واطلقوا عليه L'ordre des trinitaires Espagnols
اسم : « مستشفى الصليب المقدس » وكان ذلك بايعاز من حكومتهم باسبانيا

جاء في الجزء الثاني من كتاب الحلل السندسية للوزير السراج صحيفة 324 ما يلي : « اتصلت بقطعة معربة ممن له وثيق خبرة باللسان السبنيولي عما قيده القسيس الذي ورد لتونس وانشأ المرستان لمرضى النصارى شرقي جامع ترشيش داخل باب البحر وكان ذلك المكان به حمام وبازائه حانات خمر (2) هـ وترشيش هي تونس العاصمة وجامعها هو جامع الزيتونة والمحل المشار اليه لم يزل قائم الذات رقم 12 نهج جامع الزيتونة وبه اليوم القسم الثاني من ادارة البلدية بالعاصمة • والقسيس المشار اليه هو قزمنازéménésالذي جاء من اسبانيا وتحصل من حسين باي الاول على اتفاق يمنح للرهبان الثالوثيين الاستقرار بتونس وتأسيس مستشفى وكان ذلك سنة 1136/1720 • ولما وقع ابطال القرنصة في البحر الابيض المتوسط بموجب اتفاقية (ايكس لشبال)(3) Aix la-Chapelle سنة 1234/1818 من طرف الدول الاوروبية وانقطع السبي انتهت مأمورية هذا المستشفى فتحول الى كنيسة اشرف عليها هيئة الكبسان وذلك باتفاق مع حسين باي الثاني سنة 1249/1833 وبكراء المحل المذكور الذي كان من املاك الدولة مقداره الف ريال سنويا (4) •

---

(2) الحلل السندسية في الاخبار التونسية تحقيق الاستاذ محمد الحبيب الهيلة طبع تونس 1970 لم يكن هذا المستشفى فرنسيا حسب ما ذكره المرحوم محمد (بالفتح) بن الخوجة في المجلة الزيتونية اكتوبر 1939 •

(3) اجتمع نواب الدول الاوروبية بمدينة اكس لشبال بالمانية سنة 1818 وقرروا مقاومة القرصنة بالبحر الابيض المتوسط وبلغ الامر الى الباي قنصلا انقلترا وفرنسا ولم يمتثل الباي لهذا القرار الا سنة 1823 •

(4) في سنة 1260/1845 اسقط المشير احمد باي الاول مقدار هذا الكراء لفائدة الكنيسة وأضاف اليها فناء مجاورا تبلغ مساحته مساحة الكنيسة نفسها• وأضيف الى الكنيسة توسعة اخرى ذات اعتبار عندما ضم لها الدار والمخزن المجاوران لها واللذان مفتحهما بنهج سيدي المرجاني وكانا على ملك الشيخ محمد معاوية شيخ الاسلام آنذاك وتصرفت الكنيسة في العقارين على وجه الانزال وصارت الشركة الاسقفية التونسية صاحبة عقدة الانزال تدفع المبلغ المعين بانتظام كل عام •

انظمة المستشفى :

كان العلاج بالمستشفى مجانيا اذ يدخله المريض وبيده ريال باعتباره مصروف دفنه ان وافاه اجله ويسترجع سيده الريال عند النقاهة وخروج الاسير .

أما المال الذى ينفق منه على المستشفى فانه يرد من طرف حكومة اسبانيا ومن هيئة الثالوثيين ايضا .

ولما انحلت المؤسسة وانقطع المدد أصبح المستشفى في حاجة الى المال واصبحت ميزانيته فى عجز فادح بلغ 500 بالصيته اسبنيولية .

فطلب الاب قبريال Gabriel رئيس المنظمة من قنصل فرنسا المدد حتى لا يغلق المستشفى ابوابه وينقطع العمل الخيرى متعللا بعلاج الفرنسيين كغيرهم .

فتوجه القنصل بدوره الى حكومته والى الاوروبيين المقيمين بتونس بهذا الطلب نفسه وكان عددهم آنذاك 3370 نسمة واكثرهم تجار .

أما الامراض التى تعالج بالمستشفى فالمظنون انها هى التى يصاب بها التونسيون انفسهم اعنى الحميات والامراض الصدرية والوباء والزهرى وامراض العيون والسلام وغيرها .

والساهرون على العلاج هم الرهبان وعددهم ثلاثة وليسوا من الاطباء حيث وجدناهم فى حيرة امام مريض لم يهتدوا الى معرفة اصابته أهى وباء أم شىء آخر والتجاوا الى استشارة طبيب فرنسى حل بتونس سنة 1783 فى رحلة استطلاعية من طرف حكومته (5) .

---

(5) حل بتونس طبيبان سنة 1724 واقاما بها عامين ورجع ثانيهما الى تونس سنة 1783 وتجول بالقطر التونسى ثلاث سنوات لفائدة حكومته .
Voir : PESSONNEL et DESFONTAINE PARIS 1835 page 457
Les ANNALES de ROUSSEAU p. 106
BEN DHIAF — T. III — p. 38

ولم تشر المصادر التى بأيدينا الى عدد أسـرة المستشفى وعـدد المـرضى الذين يؤمـونه يوميـا أو سنويـا فى الـوقت التى اشـارت فيـه الى وجـود غرفة تقام فيها الطقوس الدينية يحضرها المرضى والجالية المسيحية معا وحتى الجالية الفرنسية لما أغلقت كنيستها بفندق الفرنسيين يوم انفصلت الكنيسة على الدولة سنة 1795 وأعلنت الجمهورية الفرنسية المبـدأ اللائكى ٠ وبالجملـة فقد كان الاسعاف بهذا المستشفى غير مرضى لعدم مقـدرة الاطباء والممرضين وسوء المسكن وكأنه ملجأ ومعزل للمصابين بالامراض المعدية أكثـر من كونه مستشفى بالمعنى الجارى وأغلق بابه سنة 1818 ٠

— II —

مستشفى سان لويز :

تتمتع فرنسا بتونس فى القـرن الثامـن عشر ومـن قبلـه بامتيــازات قنصلية (6) عديدة بموجب اتفاقيات ابرمت سنة 1935م وتجددت سنتى 1561 ثم 1581 وبمقتضاها كان لفرنسا الحق فى تمثيل وحماية الجاليات الاوروبيـة الاخرى المقيمة بتونس على الرغم من ان مواطنيها كانوا أقل عـددا مـن مواطنى الدول الاخرى كايطاليا ومالطة خاصة (7) ولـم يكـن لهـا مستشفى بتـونس مثل اسبانيا ٠

نعم كان للفرنسيين بتونس أطباء بالعاصمة وخارجها خصوصا بالمصارف التجارية والبحرية لصيد المرجان بطبرقة وراس بن نيقرو قرب بنزرت يتولون علاج كل من يلتجىء اليهم من البحارة والمدنيين كما كان للجاليـات الاجنبيـة الاخرى اطباء يعملون بالعاصمة وخـاصة بالقصـر الملكى أخـذوا فى السبى ومنهم من اعتنق الاسلام (8) كل ذلك ولم يكن لفرنسا مستشفى مثل اسبانيا خصوصا وان الحاجة تأكدت مرارا الى ايجاده عند انتشار الوبـاء وغيـره من الامراض الفتاكة الاخرى وانما كانت لها تكية Hospice لايواء العجز وعـابرى

(6) Les Capitulations

(7) Plantel p. 485

(8) Annales de Rousseau p. 44

السبيل بالقرب من فندق الفرنسيس يقوم باعبائها جماعة من هيئة الرهبان الكبوسان وهى هيئة تماثل هيئة الثالوثيين L'ORDRE des CAPUCINS

وتشير الوثائق ان قنصل فرنسا طلب يوم 8 نوفمبر 1727 من حكومته ان تمده بما قدره 14 الف فرنك لانشاء مارستان بالعاصمة يحتوى على اثنى عشر سريرا فلم يتمتــع بالاجـابة وكـرر هـذا الطلب بالحـاح دون جـدوى سنة 1785 وكان الوباء منتشرا آنذاك بتونس واقترح انشاء مرستان تتراوح ميزانيته السنوية بين 12000 و 15000 ليرة فرنسية (9) .

وفى سنــة 1843/1259 حــل بتـونس القسيس فـرنسوا بـورقـــاد François Bourgade وأسس بنهج المونكات بركن القرصتون وبالقرب من مرستان السبنيول مرستانا قيل فى محل كان به مستوصف من انشاء الراهبة املى دى فيالار Emilie de Vialar من هيئة القديس يوسف St Joseph التى جاءت الى تونس سنة 1830 وكانت مثرية وانفقت على المستوصف مالا واطلقت عليه اسم «مستوصف الرحمة» Dispensaire de la Miséricorde

وجمع من الجالية الاوروبية 2995 ريالا تونسيا وسوغ دارا بنهــج المونيكات وحول المستوصف الموجود هناك الى مكان وسع حيث تكاثر عدد المرضى وأطلق عليه اسم (مستشفى سان لويز) Saint-Louis واختار له هيئة ادارية من جميع العناصر والجنسيات الاوروبية القاطنة بالعاصمة وتطوع للمداواة بـه مجانا الطبيب المالطى لفرلا Laferla بأعانة بعض الراهبات وقـد بلغت مصاريـــف المستشفى 8480 ريالا تونسيا منها 600 ريال لكراء المحل و 7440 ريالا نفقة على المرضى و 440 ريال مصاريف مختلفة وشاركت الحكومة التــونسية فى هــذه المصاريف باعانة قدرها 800 ريال وبمعلوم كراء المحل على أن يسلم ذلك فى كل سنة الى الاسقف L'archevêque وأضاف القسيس سنة 1848 الى المستشفى الذى كان يحتوى على عشرة اسرة فقط غرفة خاصة أعدت كمستوصف ووقع الاقبال عليه ثم ازداد عدد الاسرة حتى بلــغ الثــلاثين وقد كان العــلاج بـــه

(9) Plantel p. 485

(أ) راجع وثائق الكنيسة بتونس . ملف المستشفيات وملف الوزارة الخارجية التونسية ملف 66 شهر فيفرى 1882 ص 403 ـ 408 وملف 67 سبتمبر 1883

(ب) Mémoires du PERE Anselme des Arcs p. 87

(ج) Archives de l'Ecole St Joseph rue Sidi Saber — TUNIS —

مجانا وعندما قلت موارده تعهدت الشركات الكبرى التى كانت تعمل لانشاء السكك الحديدية والتلغرافات بتونس وكذلك قناصل الدول الاجنبية باعانة المستشفى ثم تداخل الاسقف الكردينال لافيجيرى Cardinal Lavigerie لدى وزارة الخارجية الفرنسية مطالبا بانشاء مستشفى يحتوى على 200 سرير وطالب بخمسمئاة الف فرنك وتحصل على منحة سنوية مقدارها 200 ألف فرنك وانتقل المستشفى الى قشلة سيدى عامر البطاش (10) بنهج سيدى عزوز التى كانت شاغرة وفتح المحل الجديد بابه يوم 10 جانفى 1884 وتصدى للعلاج به اربعة أطباء احدهم فرنسى وثلاثة من الجالية الايطالية وكانت الممرضات راهبات من الاخوات سان جوزيف يشتغلن باجرة معينة باعانة ممرضين مهمتهم مقتصرة على التداوى .

واثر الانتقادات المرة التى وجهت ضد المستشفى لسوء نظامه وعدم توفيره للقواعد الصحية والتحفظ من العدوى وعزل المختبلين فى غرف ضيقة ومظلمة سحبت الحكومة الفرنسية المنحة السنوية التى خصت بها هذا المستشفى بعد ثلاث سنوات فقط من انبعاثه وحول المحل الى ملجأ خيرى ولم يزل كذلك الى يوم التاريخ .

---

(10) تدعى قشلة سيدى عامر البطاش لقربها من ضريح هذا الولى وتدعى أيضا قشلة اللواء بن التركية وهى أمام هذا الاخير بنهج سيدى على عزوز وتدعى ايضا قشلة دار المال لان المشير احمد باى نصب بها البنك التونسى الذى كانت حياته قصيرة حيث آل امره الى الافلاس واغلق بابه عام 1853 بعد فرار محمود بن عياد سنة 1852 . والقشلة من تأسيس حمودة باشا الحسينى سنة 1260/1844 .

لفتاة في العشرين

شعر : عبد الهادي بن شرودة

بى اشتياق إليك ملء جفونى   وحنين يفوق كل حنين
كنت غربتنى وغربت قلبى   كنت كبدت بالسحاب عيونى
وبعنف حفرت وجهى ، بعنف   كنت خلدت حبنا فى غضونى
وتبرأت بعد ذا من هيامى   وقتلت الهوى بشتى الظنون
وبعينى لا يزال هيامى   فوق كل الظنون عين اليقين
أنا يا تونس الحبيبة مشتا   ق ، ولكن أخشى انحناء جبينى
أنا أخشى ركوع نخلك فى عيـ   ـنى ، أخشى تضرع الزيتون
وانحناء الصفصاف بعد شموخ   لرياح الأسى ، وموج الحزون
أنا قد كنت شامخا فى هوانا   كبريائى كانت هواى ودينى
فلماذا يضيق صدرك بالعز؟..   ويدعو على الهوى بالهون ؟
أنت إعصار كل قلب عزيز   فاعصفى واعصفى ولا تستكينى
فأنا ما كتبت شعرى إلا   حينما كنت عاصفى ومعينى
حينما كنت تمطرين صحارا   ى وكنت تشجرين حزونى
حينما كنت تدفقين بقلبى   موجة من دم سخين سخين
حينما كنت من عرفت وأحببت   من الخلق ،،، صاحبى وقرينى
وأنا اليوم يا حبيبة منسى   دفين ولست بالمدفون
فاملئى هذه الصحارى ظلالا   وامكثى ها هنا ، ولا توحشينى
أنا ماذا فعلت ؟ ماذا جنيت   أنا طفل مآتمى فى جفونى

أثمر الحزن فى فـؤادى وأعطى من ثمار الأسى عطـاء السنين
كنت أرجو أن تفرحى بمجيئى أن تعيشـى مفتـونة بلحـونى
كان ظنى أن أرسل الشعر أمطا را ،، وأجرى الى الظماء معينى
كان ظنى أن أزرع الحرف واحا ت نخيـل تتيـه بالعـرجـون
كان ظنى أن أجعل الكون يشدو لفتاة أحببت ،،، فى العشرين
ذبح الحزن خـافقى وهو طفـل ثـم أنهـى مـراسـم التـأبين
قـدر هـدنـى وعفـر وجهـى وأحـل دمـى لكـل هجيـن
فـاذا ما أرخـت يومـا لمن عـا شوا بهذا الزمان ،، لا تذكرينى
أنا ما عشت غير حقبـة حـزن وزمـان الصنـوج لا يعنينـى

قضية "الغزو" الثقافي والحضاري

بقلم : محمود الذوادي

من الظواهر التى تلفت نظر المحلل لحياة المجتمعات وتفاعلاتها فى العصر الحديث هى ظاهرة ما يمكن تسميته « بالغـزو » الثقافـى والحضـارى (I) ٠ ويمكن تعريف هذا الاخير بأنه نوع من « الغزو » الاجنبى الذى يبث ويفرض على الاقل شيئا من تراثه الثقافى والحضارى على مجتمع او مجتمعات أخرى لا تنتسب أصالة الى هذا الزاد الثقافى والحضارى ٠ ويتمثل هذا النفوذ الثقافى

(*) المقصود هنا (بالغزو) الثقافى هو استعمال لغة اجنبية فى ميادين عديدة فى المجتمع مثل الميدان التربوى والادارى والقطاع الاعلانى مثل الصحف والمجـلات والكتـب ومـا يـذاع على موج الاثيـر ٠ فمجتمع زاييـر مثلا يسطو فيه « الغزو » الثقافى الفرنسى البلجيكـى ٠ أمـا « الغـزو » الحضارى فهو يتمثل فى انتشار وسطو قيم ومفاهيم حضارة اجنبية على حساب القيم والمفاهيم الحضارية الوطنية

(I) إن عبارتى : « الاستعمار » أو « الانمبريالية » تستعمل أيضا من طـرف بعض المحللين لهذه الظاهرة الثقافية والحضارية وهكذا فـان « الغـزو » الثقافى والحضارى يعنى عند هؤلاء المحللين الاستعمار الثقافى والحضارى أو « الانمبريالية » الثقافية والحضارية ٠ وان هذه الاستعمالات الاخيـرة غالبا ما تستعمل من طرف المحللين ذوى النظرة الماركسية التى ترى سجل التاريخ الانسانى سجل صراع بين القوى والضعيف اقتصاديـا وثقافيـا وحضاريـا ٠

والحضارى عامة فى انتشار ثقافته وقيم ومفاهيم حياته بدرجات مختلفة الى مجتمعات أخرى . والمجتمع الذى يقع تحت سطوة الزاد الحضارى والثقافى الاجنبيين يمكن أن يوصف بانه مجتمع يشكو من « الاستعمار » او «الانبريالية» الثقافية والحضارية ، اذ أن سيطرة التراث الثقافى والحضارى الاجنبيين على مجتمع ما يخلق صراعا حضاريا وثقافيا بين « الغزو » الحضارى والثقافى الاجنبيين والتراث الثقافى والحضارى المحليين حيث تكون مفاهيم وقيم « الغازى » هى المنتصرة والمستغلة للمفاهيم والقيم الحضارية المحلية .

ووضع عالمنا الحديث لا شك أنه وضع مثالى لانتشار ظاهرة « الغزو » أو « الاستعمار » الثقافى والحضارى اذ أن وسائل المواصلات والاعلان العصرية الحديثة جعلت مجتمعات المعمورة كلها كأنها حارات قرية صغيرة لا تفصل قاطنيها الا انهج وحدود وهمية (2) . ان صغر رقعة العالم الحديث نتيجة لما حققه العلم فى ميدان المواصلات جعل ظاهرة التفاعل الثقافى والحضارى بين مجتمعات العالم شيئا يستحيل عدم التأثر به بين مجتمعات العالم الحديث . وحتى قبائل افريقيا وآسيا يبدو انها لم تستطع - وهى تعيش فى غاباتها - أن تصد التأثيرات التى وصلتها وتصلها من العالم الخارجى البعيد عن طريق موجات الاثير أو غيرها من مكاسب العلم التى ساهمت فى تصغير عالمنا على اختلاف ثقافاته وحضاراته .

ولعل اهم عناصر بث الزاد الثقافى والحضارى من مجتمع الى آخر هو العنصر اللغوى . فمعرفة لغات أجنبية تجعل الانسان العصرى قادرا على أن يتفاعل مع تراثات وحضارات بعيدة عنه عن طريق مطالعة المنشورات المكتوبة التى تلقى بها وسائل النقل العصرية يوميا فى مجتمعه النائى عن المجتمع الناشر لتلك المنشورات المكتوبة . وعن طريق معرفة وفهم اللغات يمكن للمواطن الحديث ان يتصل بالعالم الخارجى ثقافيا وحضاريا - دون ان ينتقل وبأسرع سرعة - عن طريق مذياعه الذى يمكن أن يحمله حتى فى جيبه ويستمع فى نفس الوقت الى شيء من الزاد الثقافى والحضارى لكل من فرنسا وبريطانيا وأمريكا الخ ...

ولذلك نجد مثلا أن كلا من الاستعمار الفرنسى والانقليزى حاول بث لغته فى مستعمراته مدركا أن « الغزو » أو « الاستعمار » الثقافى والحضارى لا يتم

---

(2) انظر كتاب « مكلوهن » M. Macluhan : Un derstading Media

بناؤهما والحفاظ عليهما لمدة أطول بكثير من الاستعمار العسكرى والسياسى دون تعليم ـ على الاقل ـ مجموعات لا يستهان بها من ابناء وبنات المجتمع المستعمر لغة المستعمر نفسه ٠

وهكذا فان اللغة لا تبدو أداة اساسية « للغزو » اللغوى فقط (أى استعمال أو تضليل استعمال الفرنسية أو الانقليزية بدلا عن لغة الوطن مثل العربية فى تونس أو غيرها من البلاد العربية) وانما هى كذلك كما اشرت سابقا ، وسيلة أساسية لبث على الاقل قسم من قيم ومفاهيم ونظرات الحضارة الاجنبية الى المجتمعات التى يمكن ان يؤثر فيها «الغزو» الثقافى والحضارى٠ ان وظيفة اللغة فى « الغزو » الثقافى والحضارى ترجع الى جعل نشر وبث ثقافة وحضارة المجتمعات الاجنبية أمرا سهل الانجاز وهذا يتضح جليا فى التأثير الخاص لبعض اللغات العالمية كالانكليزية والفرنسية ٠ ان تكلم هاتين اللغتين يقترن خاصة لدى انسان العالم الثالث بالعصرية والتقدم لان المجتمعات التى تستعمل هاتين اللغتين كلغة الأم هى مجتمعات متصفة بالعصرية والمدنية فى العصر الحديث ٠ فمن الناحية النفسية يبدو أن متكلم الفرنسية والانقليزية فى العالم الثالث هو اكثر افراد هذه المجتمعات تعرضا الى « الغزو » الثقافى والحضارى الفرنسى والانقليزى / الامريكى لان متكلم هاتين اللغتين أو إحداهما مجذوب نفسيا واجتماعيا أن يكرع من التراث الثقافى والحضارى لكل من فرنسا وانقلترا والولايات المتحدة (3) ٠ وبالتالى فان هذا التهيؤ الشخصى لمتكلم ومتقن احدى أو كلتا هاتين اللغتين المقرونة بكثير من المغريات فى عصرنا تجعل انسان العالم الثالث ـ خاصة ـ الذى لا يزال يرى نفسه ضعيفا على كثير من المستويات ـ ذا مقاومة ضعيفة أمام جاذبية التراث الفرنسى والامريكى الانقليزى ٠

والمسألة لا تقتصر طبعا على سقوط عدة أفراد من مجتمعات العالم الثالث تحت سطوة « الغزو » الثقافى والحضارى الفرنسى الامركى الانقليزى خاصة٠ إن كثيرا من دول العالم ـ خاصة دول العالم الثالث تقع تحت سطوة الغزو الثقافى الحضارى لفرنسا وانقلترا والولايات المتحدة الامريكية ٠ ان الدول النامية قد تخلصت فى الحقبات الماضية من الاستعمار السياسى والعسكرى لكن هذه المجتمعات ما زالت ترزح تحت شوكة « الغزو » الثقافى والحضارى اللذين بثت عناصرهما منذ أحقاب فى ربوع مجتمعات العالم الثالث ٠٠ إن

---

(3) انظر مقالى « المزج اللغوى عندنا » مجلة الفكر ـ العدد 8 ـ ماى 1976 ـ السنة 21 ـ ص ص 995 ـ 1004 ٠

زوال كل من الاستعمار السياسى والعسكرى وبقاء الغــزو الثقافى والحضارى لنفس المستعمر السياسى والعسكرى ما هو على أن التأثير الثقــافى والحضارى أكثر تغلغلا وتخنسا وبالتالى فان إبادته غير سهلة وعمره غير قصير (4) ٠

ان التراث الفرنسى والانقليزى قد غزا ثقافيا وحضاريــا معظــم مجتمعــات العالم فى الحقبات المنصرمة نظرا لاستعمار هاتين الدولتين لكثير من مجتمعات العالم خاصة بلاد ما يسمى الان بالعالم الثالث ٠ والفاحص لظاهرة « الغــزو » الثقافى والحضارى اليوم يجد شهادة على ذلك فى مناكب بــلاد العــالم التى تخلصت منذ سنوات من الاستعمار السياسى والعسكرى لفرنسا وبريطانيــا العظمى ٠

ومنذ الخمسينات أصبح « الغزو » الثقافى والحضارى الامريكيين ذا تأثيــر فى كثير من مجتمعات العالم متقدمها وناميها على السواء نظرا **لعالمية** هذه اللغة فى العصر الحديث ولاقترانها بنمــط الحيــاة العصــرى المرتكــز على العلــم والتكنولوجيا باعثى الانسان الجديد !

فاللغة ، كما اشرنا سابقا ، هى بحق العمود الفقرى الذى يعتمد عليه هيكل « الغزو » الثقافى والحضارى لاى مجتمع يريــد بث ثقافتــه وحضارتــه الــى مجتمعات أخرى ٠ ان « الغزو » الثقافى والحضارى يمكن أيضا أن يبــث عــن طريق عوامل أخرى مثل التجارة ، السياحة ، التزوج الخ ٠٠٠ لكــن العــامل اللغوى ــ خاصة ذلك الذى يجعل الفرد يقرأ ويفهم بسهولة مــا يحتــوى عليه التراث الثقافى والحضارى ــ ينبغى أن يعتبر أهم العوامل لجعل ظاهرة «الغزو» الثقافى والحضارى ممكنة وذات عمر طويــل نسبيــا ان نظــرة فاحصــة على الشعوب الافريقية الآسيوية التى رزحت تحت الاستعمار الفرنسى والانقليزى تثبت أهمية العنصر اللغوى فى بث وتمتين سلطة « الغزو » الثقافى والحضارى لهاتين الحضارتين الاروبيتين ٠ ان متعلمى اللغة الفرنسيــة والانقليزيــة مــن الافريقيين والآسيويين أظهروا دائما تأثرا مهما من « الغزو » الثقافى والحضارى لفرنسا وبريطانيا اذا ما قورنوا بالجندى العامى الذى احتــك بالمستعمــر فــى الخدمة العسكرية ولكنه لم يتعلم لغته خاصة المكتوبة ٠

---

(4) ان علماء الاجتماع والانثربلوجيا خاصة يؤكدون أن تغيير عناصر التراث الثقافى والحضارى تتطلب أكثر وقتا من التغييرات التكنولوجية مثــلا ٠ انظر خاصة مفهوم التخلف الثقافى Ogburn " Culturat.. Laq " العالم الاجتماعى الامريكى

السوق الاروبية المشتركة واحترام العامل اللغوى

ان سهولة تعلم اللغات فى العصر الحديث ، وما لذلك من انعكاسات حضارية وثقافية على الافراد والمجتمعات ، جعلت كثيرا من الدول المتقدمة تقوم بجهود جدية لايقاف مد انتشار المركبات المهمة « للغزو » الثقافى والحضارى فى مجتمعاتها .

ان السوق الاروبية مثل حى على احترام العنصر اللغوى بين أعضاء السوق. نتيجة لهذا المبدأ فان السوق الاروبية أسست «مخبرا» أو «مصرفا» لغويا يمد خاصة بعض الاعضاء بمصطلحات جديدة تجعل لغتهم قادرة على التعبير الكامل مثل الانقليزية والفرنسية لغتى التكنولوجيا والعلم . وهكذا فان اعضاء السوق لهم الحق الكامل فى استعمال لغاتهم الوطنية فى اجتماعات السوق والنشرات التى تصدر عن السوق الاروبية . فالانقليزية والفرنسية اذن ليستا لغتى السوق الرسميتين رغم عالميتهما فى العصر الحديث .

ليسأل المرء فى هذا الشأن عن مبدإ الاحترام اللغوى فى كل الحوارات التى تقع بين المجتمعات المتقدمة والنامية ؟ ما هى يا ترى مثلا ، لغة الحوار عندما يلتقى وفد تونسى ووفد فرنسى رسميان ؟ هل يشعر الوفد التونسى أن عدم استعمال لغة بلاده فى هذه الحوارات الرسمية شىء يقدح فعلا فى الشخصية التونسية باعتبار أن هذه الاخيرة تنتسب اصالة الى التراث الثقافى والحضارى التونسى ؟

ان هذا المثال لا يساق على تونس وحدها كدولة نامية بل على معظم الدول النامية التى تبدو متخلفة لا اقتصاديا وصناعيا فقط بل ايضا ثقافيا وحضاريا . ان هذه الدول نادرا ما تطالب بالمساواة أو تقليل الفروق فى الميدان الثقافى والحضارى بين المجتمعات المتقدمة والنامية كما تنادى بالمساواة أو ما يقر بها فى الميدان الاقتصادى (5)

---

(5) ان مبدأ انشاء نظام اقتصادى جديد فى العالم بدأ منذ 1973 المقترن بازمة البترول التى سمحت لبعض الدول النامية ان تنادى بالنظام الاقتصادى الجديد . مقارنة بهذا الاخير فان مفهوم وضع نظام ثقافى وحضارى جديد فى العالم يعد كانه غير ذى وجود .

انتفاضة فى فرنسا وكندا ضد « الغزو » الثقافى والحضارى

ان احترام لغة الوطن تبدو أكثر تجسما فى المجتمعات التى خطت أشواطا فى سلم التقدم والتحضر ، ومبدأ الاعتزاز بلغة الوطن يبدو ــ ويا للاسف ــ اقل شيوعا فى كثير من المجتمعات النامية • وهذه الملاحظة تشير الى أن تقدم مجتمع ما لا يشمل الاقتصاد والتكنولوجيا فقط وانما يشمل تقدما فى كل الميادين المهمة التى تشكل حياة المجتمع • فالتقدم الثقافى والحضارى هو جانب تعتز به وتدعمه كل المجتمعات الحديثة صناعيا وعلميا واقتصاديا • فالتقدم فى الميدان الثقافى والحضارى هو اذن جزء لا يتجزأ ــ فى نظر المجتمعات العصرية الحديثة ــ من التقدم الاجتماعى ككل •

ان فرنسا ــ مثلا ــ دولة عصرية متقدمة تبعا لكل المقاييس الحديثة لتقدم وتعصر ونضج الامم • ان موقف الفرنسى العادى الرسمى حيال احترام لسان بلاده لا يمكن ان يقدح فيه عموما • ان ساسة فرنسا وعلماءها الرسميين شهادة على ذلك • كما ان نشاطات الاكدامية الفرنسية 'Academie Française' المستمرة انعكاس على مدى الاحترام والاعتزاز بالفرنسية كلغة لفرنسا • فان القانون الاخير الصادر عن حكومة جيسكار دى ستان شاهد آخر على أن قادة فرنسا السياسيين يحرصون على حماية اللغة الام من تفشى المفردات والعبارات الامريكية والانقليزية الى جسم اللغة الفرنسية • لان استمرار هذا التيار الثقافى فالحضارى يخيف المسؤولين السياسيين الفرنسيين من السقوط شيئا فشيئا تحت التأثير الثقافى والحضارى الامريكى والانقليزى •

ان هذا التخوف الفرنسى من مغبة « الغزو » الثقافى والحضارى الامريكى والانقليزى كان من الواجب أن يوقظ ضمير كثير من الدول النامية التى تتعامل خاصة مع فرنسا ثقافيا وحضاريا ، ان على هذه الدول النامية ان ترجع البصر كرتين فى قضية « الغزو » الثقافى والحضارى اذ تستمر فى علاقتها مع فرنسا وغيرها من الدول المتقدمة • اذا كانت فرنسا تشكو من معضلة التفشى اللغوى والحضارى من الولايات المتحدة خاصة ، أفليس واجبا على الدول النامية أن توجه نفس السؤال الى ما يقع لتراثها الثقافى والحضارى من جراء النفوذ والسطوة المتمثلين فى التأثيرات الثقافية والحضارية ان مثل هذا السؤال هو فى صلب التفكير المنطقى ومجرى الاحداث ان الشعور سمد « الغزو » الثقافى والحضارى لا ينحصر فى فرنسا وحدها بين الدول المتقدمة • ان كندا مثل آخر يشكو من الغزو الثقافى والحضارى رغم تقدم وتعصر المجتمع الكندى •

ان الانقليزية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان للبلاد • فالانقليزية هي لغة الاغلبية والفرنسية هي لغة ربع المجتمع المثلة خاصة في مقاطعة كيباك

ان الحكومة الفيدرالية أحدثت برامج وهياكل خاصة لجعل لغتي البلاد الرسميتين مستعملتين من طرف مريدى استعمالهما • إن تحقيق سياسة الثنائية اللغوية bilinguisme في المجتمع الكندى لم يكن أمر يسيرا اذ ان الصعوبات عديدة لانجاز مثل هذا المشروع • من هذه العراقيل تدخل العوامل العاطفية والتاريخية والاقتصادية (باعتبار ان الانقليزيا هي لغة المستقبل في أمريكا الشمالية) والذاتية الحضارية باعتبار أن الكنديين الانقليز ينحدرون من الحضارة الانقلوسونية بينما الكنديون الفرنسيون القاطنون بالكيباك خاصة ينحدرون من الحضارة اللاتينية • اللهم في مشروع الثنائية اللغوية الذى تزكيه الحكومة الكندية هو مدى الاحترام الذى أعطته الحكومة الكندية للعنصر اللغوى في المجتمع الكندى المتقدم •

رغم السياسة الرسمية الفدرالية حيال مبدأ احترام اللغتين الرسميتين فان الاقلية الفرنسية في الكيباك تطالب اليوم باحترام أكثر خاصة لتراثها الثقافي والحضارى • وهذا ما ادى الى انتخاب الحزب الانفصالي للكيباك في شهر نوفمبر 1976 في الكيباك ان تعزيز اللغة الفرنسية والتراث الثقافي والحضارى لمجتمع كيباك هو اهم أولوية للقيادة السياسية للحزب الانفصالي في هذه المقاطعة الكندية • اذا كان المجتمع الكيباكي يريد الانفصال للحفاظ على كيانه وذاتيته الثقافية والحضارية خاصة فكيف يستطيع المرء فهم موقف معظم الدول النامية « المغزوة » ثقافيا وحضاريا من الخارج ؟ ان مجتمعات كيباك وفرنسا وكندا تعد مجتمعات متقدمة من الصنف الاول • فتقدمها ربما هو العامل الرئيسي الذى دفعها لكي تثور وتتحمس لصد « الغزو » الثقافي والحضارى • وان عدم وجود امتعاضات علنية ضد « الغزو » الحضارى والثقافي في معظم مجتمعات العالم الثالث لهو دليل على وجود نوع من العلاقة بين درجة تقدم المجتمعات في كل النواحي ودرجة وعيها بمخاطر « الغزو » الثقافي والحضارى الاجنبي على تراثها القومي ثقافيا وحضاريا • ففكرة التقدم لمجتمع ما لا يمكن فصل مكوناتها (أجزاؤها) • فالتقدم اقتصاديا واجتماعيا في المجتمعات العصرية يقترن بحب المحافظة والاعتزاز بالتراث الثقافي والحضارى كما بدا ذلك واضحا في كل من فرنسا وكندا وكيباك

ان المثال الكندى ينبغى ان يلفت نظر معظم الدول النامية التى تنتشر فيها الثنائية اللغوية المتمثلة فى اللغة الوطنية كالعربية عندنا فى تونس والفرنسية. إذ الفاحص للملف اللغوى فى تونس منذ الاستقلال لا يجد سياسة ايجابية معتدلة حيال اللغتين الرسميتين المستعملتين فى البلاد التونسية . ان ما يلاحظه الدارس للملف اللغوى عندنا هو التقاعس عن محاولة تعديل كفة الميزان بين الفرنسية والعربية المكتوبة. إذ الفرنسية ما زالت تسيطر باستعمالها على كثير من مظاهر الحياة فى تونس سواء كان ذلك فى القطاع الادارى ، أو الميدان العلمى ، أو حتى فى قطاعات أخرى أبسط وأقل اهمية مثل استمرار استعمال الفرنسية على التذاكر التى تستعملها شركات النقل عندنا . ان معظم هذه التذاكر مكتوب عليها بالعربيةو الفرنسية المكان الذى يبارح منه المسافر وذلك الذى يتجه اليه . رغم وجود العربية على هذه التذاكر فان معظم مسلمى هذه التذاكر يفضلون استعمال الفرنسية حتى مع المسافرين الذين لا يقرؤون لا الفرنسية ولا العربية . ان كتابة مكان المبارحة والاتجاه بالعربية شىء طبعا شكلى لا يغير من المسافة التى تفصل بين نقطة المبارحة ونقطة الاتجاه ! رغم سهولة الامر فان معظم شركاتنا القومية للنقل ما زالت لا تولى اهتماما لتعريب كتابة تذاكر المسافرين . ان مثل هذه التغيرات البسيطة سوف لن تدخل حيز التنفيذ ما لم تتدخل القيادة السياسية والسلط المسؤولة فى البلاد.

فرغم المكانة المهمة التى توليها الحكومة الكندية الفدرالية الى لغتى البلاد الرسميتين ـ خلافا لما يجرى عندنا فى تونس وفى مجتمعات أخرى ـ فان كندا ـ مثل كثير من الدول النامية ـ هى فريسة « الغزو » الثقافى والحضارى فشقا كندا الانقليزى والفرنسى يقعان تحت سطوة « الغزو » الثقافى والحضارى لكل من الولايات المتحدة وفرنسا وانقلترا . فمعظم منشورات كندا من كتب ومجلات وجرائد ووثائق علمية وغيرها هى من اصل امريكى او فرنسى او انقليزى . ونفس الشىء ينطبق على البرامج التلفزيونية التى تشاهدها أغلبية الكنديين . فمعظم هذه البرامج هى برامج امريكية حتى وان كانت تلفزتها على قنوات كندية

نتيجة للشعور « بالغزو » الثقافى والحضارى للكيان الكندى فقد بدأت الحكومة الكندية الفدرالية منذ السبعينات سياسة ثقافية حضارية جديدة ، هدفها هو اضعاف شوكة « الغزو » الثقافى والحضارى الامريكيين خاصة . فصدر لذلك قرار فدرالى يدعو القنوات والاذاعات الكندية الرسمية أن تجعل نسبة البرامج ذات الطابع الكندى مساوية الى 60 فى المائة .

وان مجيء الحزب الانفصالي في مقاطعة كيباك الفرنسية أيقظ من جديد لا في هذه المقاطعة وحدها بل في كندا كلها الشعور بضرورة إعطاء أهمية للكيان الثقافي والحضاري في شد عرى الوحدة الكندية (6)

أي عبرة تستفيد منها الدول من تجربة فرنسا وكندا والسوق الاوروبية المشتركة ؟

انه مما لا شك فيه أن معظم دول العالم الثالث تنتشر فيها ازدواجيات لغوية أو حتى ثلاثيات لغوية · ففي معظم دول العالم العربي مثلا هناك عادة ثلاث لغات مستعملة : اللهجة الدارجة والعربية الفصحى والانقليزية او الفرنسية أو هما معا · ونتيجة لتفشي لغة اجنبية على الاقل في معظم هذه المجتمعات النامية خاصة بين الثلة المثقفة والحاكمة فان « الغزو » الثقافي والحضاري الفرنسي او الانقليزي / الامريكي ظاهرة لا يمكن انكارها في مجتمعات العالم الثالث · ومن الخطأ المنتشر في الرأي العام في هذه الشعوب هو الاعتقاد بأن هذه المجتمعات متأخرة فقط اقتصاديا وصناعيا، والحقيقة أن هذه المجتمعات هي متأخرة أيضا حضاريا وثقافيا · وهذا يعني أن « الغزو » الثقافي والحضاري الاجنبيين يفقران التراث الثقافي والحضاري المحليين · وفي هذا الصدد فان التفسير الماركسي لفكرة الاستغلال الاقتصادي الذي تقوم به الدول المتقدمة خاصة الرأسمالية للدول المتخلفة يجب أن يشمل أيضا مفهوم الاستغلال الثقافي والحضاري · ان كلا من الاستغلال الاقتصادي والثقافي الحضاري لهما مرمى متشابه · فالاول هدفه حرمان أهل المجتمع المستغل من ثرواته الطبيعية والثاني هدفه ايضا حرمان أهل نفس المجتمع من حضارته وثقافته وبالتالي جعلهم عبيدا ثقافيا حضاريا للمجتمع المتقدم ذي « الغزو » الحضاري والثقافي (7)

---

(6) ان مدير مجلة M. C. Clean الكندية Peter Newman يرى ان التقاعس الكندي الانقليزي حيال « الغزو » الثقافي والحضاري الامريكي جعل الكنديين الفرنسيين في الكيباك ينادون بالانفصال عن كندا خوفا من ان يسقط تراثهم الثقافي والحضاري نهائيا صريعا « للغزو » الثقافي والحضاري الامريكيين فالانفصال إذن هو رد فعل لهلاك ثقافي وحضاري للمجتمع الفرنسي في الكيباك في امريكا الشمالية ·

(7) انظر Le Monde Diplomatique Mars 1977 p. 33

ورغم ان ظاهرة « الغزو » الثقافى والحضارى لا يمكن انكارها لكل ملاحظ بصير للعالم الثالث فان القضية ما زالت بعيدة عن المناقشة الجدية فى صحف ومنشورات العالم الثالث خاصة · فجريدة Le Monde Diplomatique لشهر مارس 1977 تحدثت باختصار على أخطار « الاستعمار » الثقافى لا على الدول النامية فقط بل على التراث الثقافى والحضارى الانسانى بصفة عامة · ان كاتب المقال ايرانى الاصل وهو يتفق مع كاتب فيلسوف مسيحى ماركسى ينادى بمبدا حوار الحضارات لبناء حياة انسانية أفضل)8(· وهو طبعا ثائر على كل « غزو » ثقافى وحضارى من شأنه أن يجعل الثقافات والحضارات العديدة لمجتمعات العالم ذات طابع متشابه جدا وبالتالى روتينى (رتيبى) وذا نظرة قصيرة ومحدودة للآفاق الانسانية التى يمكن لكل حضارات وثقافات العالم أن تساهم بها اذا أمكن طبعا صد « الغزو » الثقافى والحضارى للمجتمعات العظمى فى العصر الحديث ·

وانمه جلة « العربى » لشهر فيفرى 1977 نشرت مقالا افتتاحيا يطرح مشكل « الغزو » الثقافى والحضارى خاصة فى البلاد العربية · إن أحمد بهاء الدين يتساءل عن القرارات التى اتخذت لصد « الغزو » الثقافى والحضارى الذى يتعرض له العالم العربى أثناء اجتماع وزراء الثقافة العرب فى اول اجتماع لهم فى الاردن · ان محرر مجلة العربى ينادى الامة العربية بان تتفاعل ـ ولا تنغلق على نفسها ـ مع التأثيرات الثقافية والحضارية الحديثة · لكن هذا التفاعل لا بد ان يقوم بدور المتفاعل المعتز بنفسه وبثقافته القومية · ان مثل هذا الموقف يصد كل « غزو » ثقافى وحضارى يمكن أن يخرب جديا المعطيات الثقافية والحضارية للامة العربية انه يدعو مثل قارودى Garaudy الى نوع من التفاعل ذى الصبغة الحوارية المتساوية بين المجتمعات العربية وغيرها من الدول المتقدمة والنامية ·

ان بقية الدول النامية ينبغى أن تبدأ فى المناداة بمبدا الحوار المتساوى بين الثقافات والحضارات العالمية لان مساهمات الثقافات والحضارات المختلفة فى أرجاء المعمورة أثبتت ايجابيتها وإغناءها للتراث الانسانى الثقافى الحضارى على مر العصور · اذن فان السماح لسيطرة وسطوة ثقافية وحضارية واحدة فى العالم الحديث هى ضربة حاسمة الى التراث الثقافى والحضارى الانسانى الذى حافظ عبر التاريخ على مبدا ديمقراطية الثقافات والحضارات من مجتمع

---

(8) انظر : Roger Garaudy: pour un dialogue des civilisations éditions Denoël

او مجموعة مجتمعات الى أخرى · ان قضية « الغـزو » الثقافـى والحضـارى ينبغى أن ينظر اليها بكل جـدية وحسـاسية فى العصر الحـديث لسهـولة إنتشارها مع مر السنين بسبب ما حققه العلـم والتكنولوجيـا من وسـائل حديثة تسهل وتقـوى من انتشـار ظاهـرة « الغـزو » الثقـافى والحضـارى فى انحاء المعمورة ·

ان الدول النامية ـ مع الاسف ـ مازالت تنظر الى نفسها بمنظار حقير حيال تراثها الثقافى والحضارى · وما كان عليها ن تفعل ذلك لو علمت أن زادهـا الثقافى والحضارى ـ بما فى ذلك عنصرها التقليدى la Tradition ـ يمكن ان يحتوى على عناصر ايجابية للانسان بصفة عـامة تفـوق مـا يحملـه « الغزو » الثقافى والحضارى لفرنسا أو الولايات المتحدة ·

ان ظهور وانتشار بعض القبسات الحضاريـة الشرقيـة فـى المجتمعـات الغربية العصرية لشاهد على أن فى طيات الحضارات غير الغربية العصريـة مفاهيم وشعائر وحكما لها مساهماتها فى سعادة البشر اينما كانوا ان انتشار « الصوفية » واليوقا Yoga والصلوات الروحيـة M.T. وغيرهـا بين المجتمعات الصناعية العصرية لدليل على ان للحضارات الاسلامية واليابـانية والهندية مساهمات « يغزو » مفعولها اكثر فأكثر افراد المجتمعـات العصريـة خاصة الغربية منها ·

ان ابناء وبنات الدول النامية والمسؤولين السياسيين فيها لا بد أن يأخـذوا بعين الاعتبار مفهوم التفاعل الثقافى والحضارى الذى فيه عنصر الاخذ والعطاء· ان التفاعل الثقافى والحضارى الذى فيه يأخذون ولا يعطون هو « استعمـار » ثقافى وحضارى يحرم أهل الثقافة والحضارة الاصليين من الارتواء والمعرفـة لتراثهم الثقافى والحضارى وهكـذا فحرمانهم من التشبـع بـزادهم الثقـافى والحضارى على حساب التعرف على زاد ثقـافى وحضـارى أجنبـى يجعلهـم يشعرون بالغربة الثقافية والحضارية (9) وهم فى بلادهم ! ان « غزوا » ثقافيا وحضاريا من هذا النوع يصح أن يطبق عليه مفهوم « الاستغلال » عند ماركس· لكن هذا « الاستغلال » هو استغلال ثقافى حضارى يحـرم فيـه الشعـب مـن استعمال عناصره الثقافية والحضارية الخاصة به · نتيجة لذلـك فالتـراث الثقافى والحضارى *للمجتمع المستغل ـ حضاريا وثقافيـا ـ* يبقى *راكـدا* أو

---

(9) يمكن ترجمة ذلك باختصار : l'Aliénation Culturelle

يزداد فقرا مع مر السنين · هذا فى نظرى مصير الدول النامية خاصة ، ان لم تقم بخطط وسياسات جديدة تمكنها من التصدى والحد من « الغزو » أو « الاستغلال » الثقافى والحضارى للدول الصناعية المتقدمة · ان القيادات السياسية فى العالم الثالث تلقى عليها اكبر المسؤولية (١٥) فى اصلاح النظام العالمى الثقافى والحضارى · ان عدم النهوض بتراثها الحضارى والثقافى لا يحرم **فقط** أهل هاته المجتمعات بل التراث الانسانى كله من المساهمات الثقافية والحضارية للمجتمعات البشرية التى حافظت على معالم مختلفة ـ رغم تشابهها ـ أحيانا ـ مثرية لذاتية الانسان الثقافية والحضارية ·

محمود الذوادى

ـ منريال ـ كندا

---

(١٥) T. T surutani : The Politics of National development chandler. Publishing company,1973, New york.

غرة الشهر

قصة : بقلم : عبد القادر بن الحاج نصر

ـ 2 ـ

بين الحين والآخر٠٠ يتذكر أن ريم قد تكون فى انتظاره فى المنزل بنهج رمادة ٠٠ فيسرع بالعودة ٠ لكن هذه المرة لم يبد عليه أى اهتمام٠٠ حقا ٠٠ انها لا بد أن تكون هناك ٠٠ ولكنها تستطيع أن تترقب حتىوقت متأخر٠٠ ما دام هو فى حاجة الى فنجان قهوة ـ ونظر اليه ٠٠٠ كان قادما ٠٠ هذا النادل ٠٠ يحمل طبقا فارغا ٠٠ يحمل كل ما يملك من شرر ولهيب

ـ هيه !
ـ هيه ! ماذا ٠
ـ هيه ٠٠
ـ كأس قهوة ٠

يضع النادل يده على الكرسى ٠٠ ثم يرفعها ببطء كأنه يتوعد ٠٠ ينقلب على أعقابه ٠٠ إنه يخفى اشياء فى دماغه ثورة ٠٠ جنون ٠٠ تهديم ٠٠ ليس راضيا بوضعه ما فى ذلك شك ولكن لماذا ٠٠ لماذا يشمئز نادل من وضعه وهو يلم الهبات المالية الصغيرة التى يتركها الزبائن ٠ انها تتكدس تتكدس ٠٠ ثم تصبح كثيرة ٠٠ مختلفة الاشكال والقيمة ماذا يثير النادل ؟

صعد درج العمارة ٠ كان الضوء يشتعل فى شقته ٠٠ ضرب بقبضته على الباب ٠ ثم ضرب من جديد بعنف ٠٠ جذب المفتاح من جيبه وفتح الباب ٠

هناك ورقة على السرير ٠

« لقد ترقبتك ٠٠ الفجر على مقربة من البزوغ ٠٠ انه ينتظرنى فى المنزل ٠٠ قد يتهمنى بالفجور ٠٠ لا سبيل الى ذلك الليلة ٠٠ أقول له دائما انى

(*) راجع « الفكر » السنة 22 ـ العدد 6 ـ مارس 1977 ٠

اعمل فى البيوت الى ساعة متأخره .. ولكن لا يمكن أن يتواصل عمل الى هذه الساعة .. غدا .. أو بعد غد » .

كان حين يدخل الى مقر هيئة التوثيق يمر بـرواق ضيـق طويـل .. ثم ينزل درجا ملتويا الى قاعة تحت الارض يطلقون عليها اشفاقا بالعـاملين بهـا القاعة الداخلية ، ساعة يبدأ نزول الدرج ينتابه سعال خفيف ثم يشتد كلما هبط الى أسفل وكان مع جملة الموثقين يسمى هذا الدرج . « مكان السعال » وكان يتساءل حين يأخذ مكانه وراء مكتبه عن أهمية الاوراق التى يوثقهـا ـ أقوال ء رئيس البلدية ـ كلها متشابهة . كل يوم يقرأ نفس الاشيـاء .. أشياء يتغير شكلها .. ولا يتغير فيها شىء آخر .. مثلما يصبغ الانسان نفس الثياب كل يوم صبغة جديدة .. أما القماش فهو هو .. ورئيس البلدية يقرأ ذلك .. يقول فى نفسه « عظيم » وتنتفخ أوداجه .. ويشعر بالانتفاخ ينظر الى جعدانة .

ـ أما زالت أم هانى تسعل ؟

لا يرد جعدانة .. وينهمك هو فى فرز الاوراق .. ليـس هـنـاك .. اتعس من الصحفيين .. ينزعون منهم ضمائرهم .. يعرفون جيدا أن ما يقولونه انما هو خطأ فادح ولكن .. يحدج مرة أخرى جعدانة بنظرة باردة .

ـأمازالت أم هانى تسعل ؟

ولكن جعدانة يظل منشغلا .. ثم يضع يده فى جيبه ويستل منديلا بعنف ويضعه على فمه وسيسعل .. ينظر الى جعدانة باشمئزاز

ـ اشتر دواء يا جعدانة .. أنت مريض .

يضع جعدانة المنديل فى جيبه يمصمص بشفتيه .. ويتنحنح .. يحنى رأسه كأنه سيسقط على الطاولة .. يصل الى أذنيه صوت فاتر .

ـ أمازالت أم هانى تسعل ؟

يغلق جعدانة دفاتره .. ويكدس الاوراق فوق بعضها .. ويلتفت اليه .. يواجهه بعينيه وصدره . كان قميصه ينفرج قليلا عن صدره .. فيظهر لحمـه أسود كأنما ذر فوقه الرماد ورشه بالماء .

ـ نسيت أم هانى يا جعدانة أن تخيط لك قفل قميصك .. أن الـبـرد شديد .

تنفرج شفتا جعدانة ..

ـ وكيف ؟

ـ انها زوجتك ؟

ـ ولكنى لا أحبها

ـ ألا تسكنان معا نفس المنزل ونفس الغرفة ؟

ـ أجل ولكنها تعمل خارج البيت .

ـ ألا يكفى ان تعمل أنت يا جعدانة ؟

ـ ولكنى موثق ، ومرتبى لا يكفى لدفع أجرة المنزل !

ـيقولون انهم سيرفعون فى الاجور .

ـسنوات ونحن نستمع الى نفس الاغنية .

ـ الا تصدق !

ـ أصدق .. لم لا .. كل شىء جائز .. ما دامت الاسعار ترتفع كل يوم فتضربنا كالطاعون .

ـ انى لا أذهب الى السوق .. ولكن .. معك حق يا جعدانة انى أحس بأن أشياء كثيرة قد تبدلت .. لم أشعر مرة بالخطر كما أشعر به لآن .

ـ أنت أعزب . لا حق لك فى البكاء . أما أنا .. لولا أم هانى لاخرجونى من المنزل . آه .. لقد تضاءلت مقدرتى الشرائية خمس مرات بالقياس الى الماضى .

ـ أى ماض تعنى ؟

ـ الماضى ـ ذلك الماضى الذى لم يكن التاجر يستطيع أن يرفع فى الاثمان كما يريد .. ذلك الماضى .. الذى كان خاليا من السماسرة .. ذلك الماضى الذى كنا نلعنه .. آه اننا على حافة التهلكة .

تنتاب جعدانة نوبة من السعال .. فيعود الى وضعه الاول ..

ـ كان عليك أن تشترى دواء يا جعدانة !

ـ من أين ؟

ـ أقرضك .

ـانك شاب طيب .

فى غرفته ٠٠ يقف متطاولا ويحدق فى الصورة المعلقة ٠٠ هذه السنوات التى قضاها فى الوظيف أحدثت فى قلبه نزيفا دائما قرأ جرائد كثيرة ٠٠ وتجول فى الاسواق ٠٠ لماذا اختفى صاحب الصورة فجأة ٠٠ وقد كان يمثل عدة أشياء ٠٠ كان جدارا ٠٠ أو سورا ٠٠ أو سياجا يحول بينه وبين المصائب يدقق النظر فيه ٠٠ كان جديرا بأن ينظف دار التوثيق ٠٠ وأن يعدل وضع جعدانة ٠ ويخرجهم جميعا من ذلك القبو ٠٠ لم يكن يستطيع رؤيته كما يجب ٠٠ انه أبعد من عينيه الملوثتين بغبار غرفة التوثيق ٠٠ لا يرى الا الاطار وشيئا أسود كنقطة داكنة كبيرة ٠٠ وبعض ٠٠ بعض ملامح ٠ لن يأتى أحد بعد يسد الفراغ ٠٠ ويقتل الخوف ٠ لقد سرقوا كل ما فى الجيوب ٠٠ وغسلوا أدمغة الناس ٠

ينظر الى ريم فيجدها منطوية على نفسها ٠

ـ أتعرفين لمن تلك الصورة ؟

ـ لقد بهتت ملامحه ٠٠

مر زمن طويل ٠٠ كانت ملامحه قوية ثابتة فى مخيلة كل الأجوار ٠ كنت اعتمد عليه ٠٠ لو كان هنا ما كنت أقضى كل هذا الزمن فى الوظيف

ـ تعمل فى الوظيف ٠٠ يا خسارة العمر ٠٠ تدفع نفسك فى متاهة بدون مقابل ٠ وأنت شاب تملأ الدنيا حيوية

ـ ما رأيك ؟

ـ تعمل فى مغازة ٠٠ اخرج نفسك من دائرة التمويه ٠ صاحب الدكان يأكل ٠٠ ويلبس وينعم ، والبسمة لا تفارق شفتيه ٠ أولاده بخير ٠

ـ وراس المال !

ـ اقترض ٠

ـ من أين ؟

ـ فتش عن عمل لا تدفع فيه رأس مال ٠

ـ أعمل ماذا ؟

ـ شياتا ٠

وضع شفته بين أسنانه ٠٠ ونظر اليها باشمئزاز

ـ تقولين شياتا !

بادلته نظرة اشمئزاز ٠

ـ أجل شيات . « بحبوح الشيات يسكن بجوارنا ـ يحمل صندوقا تحت ابطه ويقصد المدينة كل صباح . وفى المساء يمر أمام الابواب وهو «يشقشق» قطع النقود . بية تريد أن تطلق زوجها الكاتب فى ادارة الشـؤون العقـارية وتتزوج بحبوح .. تريد أن تخطفه من زوجته . يحيا المال هل يصنع وظيفك المال ؟ تكلم .

ـ ولكنى رجل محترم. أتريدننى أن أصبح شياتا . أتظنيننى أنام واستيقظ وخيالى تستقطبه قطع النقود !

ـ لماذا تعود اذن وأنت متجهم . لم أرك تبتسم فى حين يقهقه أصحـاب الدكاكين .. هل تتفلسف ؟

ـ آه لم أفكر أبدا أن أغير مهنتى . وانحدر الى هذا الدرك .

ـ عندما تصبح شياتا سوف تسمو . لانك ستقدر على تغيير أثاث منزلك .. ستستبدل هذه الطاولة .. وهذا الكرسى ، وهذا السرير .. كل هذه الخردة .. بأشياء جديدة

نظر اليها ولم يتكلم . وأضافت بشىء من الحدة .

ـ ان زوجى مثلك لا يريد أن يترك الوظيف . هذا الوباء الذى يهدد العائلات

ـ متى سيطرت عليك هذه الفكرة ؟

ـ لقد جئت هنا لاغسل أدباشك .. هل تتذكر .. لانظف لك الغـرفة . لا قوم بشؤونك .. أنت فى حاجة الى ذلك .

ثم عدلت عن الفكرة . اعتبرتنى منذ دخولى الى هنا .. شيئا آخـر .. واعتبرت نفسى أكثر من خادمة . لقد أردت هذا فلم أمانع .

ـ لست نادما على ذلك .

تحسس جيبه وهو يمر فى شارع فرنسا .. مازالت فاتورة الماء كما هى .. وغدا يأتون ويقطعون الماء وحاول أن يتخيل الماء كما هو كما خلقه الله .. عذبا منسابا فى جداول رقراقة يشق أرضا مترامية الاطراف ينحنى ازاءه الرعاة والمسافرون .. يشربون .. يغتسلون .. ويقولون « هى نعمة الله » ما أروع الحياة .. تخيل الماء يصب فى الابريق . فى الجـرة .. فى الكـأس وينهل منه بتؤدة ، فيغسل به محيطه الداخلى .. وتعود اليه الحياة . ولو انقطع الماء لو جاءوا بآلاتهم ووضعوا نهاية له .. سييبس وجهه ويصبح شاحبا كعود

قصب ؟، وتذكر سنوات الجشفاف ٠٠ الجفاف أسقط الجدران ٠٠ وهد الحقول ٠٠ وعرى الارض ٠٠ ياه ٠٠ كان الجفاف أصل الداء ٠٠ لقد اشتعلت الدنيا كالحطب اليابس ـ احترق بنو آدم ٠٠ وسقطت أشياء كثيرة وصرخت الجبال٠ كانت الطامة ٠ لو قطعوا أنبوب الماء !

كانت يده تنكمش على الورقة ٠٠ كاد ينتهي أجل الدفع ٠٠ سيصعد عند حدوث الكارثة درجات العمارة ٠٠ درجة درجة ٠٠ ويتلصص من ثقوب الابواب ٠٠ وبيده سطل ٠٠ ويطلب شربة ماء وهو يلتهم الجمال في عيون الصبايا ٠٠ ويمسح بنظره القدود والنهود ٠٠ هذا البديل الرائع : زفر زفرة طويلة ، وانكمشت يده أكثر على فاتورة الماء ٠ « موظف » ليس بامكانه أن يدفع بعض الدنانير ليضمن لنفسه الماء ؟ حين نزلت درة درج العمارة ٠٠ كانت أكثر اضاءة من شمعة قوية ٠٠ كانت تعكس على صفحة وجهها دلال بنات الشمال ٠٠ وكان من الممكن أن يطلب يد درة ٠٠ ولكن درة الهابطة من درج العمارة متزوجة ٠٠ ورجلها تاجر يملك دكانا لبيع العطورات ٠ ودرة تلبس الحلى ٠٠ وتتزين ٠٠ وتتحرك على الارض بتؤدة . كان من الممكن أن يختطفها ويسافر بها الى أقصى الارض ٠٠ حيث يتخطى الجفاف ٠ ولكن درة تعود فتصعد الدرج ٠٠ وتختفى فى طيات المصعد الحجرى ويسمع شيئا كقفلة باب ٠٠ كارتطام الخشب بالخشب ويبتلع ريقه ٠ درة زوجة التاجر ٠٠ ابنة التاجر ٠ يمكن له حين ينقطع الماء أن يمد بصره من وراء الثقب عندما يخرج « محمود » ٠٠ محمود التاجر ٠٠ صاحب العطورات والزينة ٠٠ بائع الحمص ، والفلفل ، وزيت الزيتون باذل الرخاء فى وجه درة ٠

لو عرف الطريق قبل اليوم ٠ لفتش عن الرزق بطرق أخرى ٠٠ وضرب بقبضته على أبواب غير أبواب الوظيف ٠ وتعود درة كالشمعدان المتنقل من درجة الى أخرى ٠٠ وتتنور العمارة ٠ ويلتصق بالباب ، وينفرج قميصها عن خط فاصل من اللحم بين النهدين ٠٠ فاصل أبيض كعجين الشمع ٠٠ أحمر كورقة الاقحوان ٠ وتعيره نظرة ٠٠ ثم تخرج ٠٠ تغادر ، وصدى خطواتها يمتد الى أعلى درج العمارة ويصل أسفلها ٠ ويترقب درة ٠٠ درة زوجة « محمود التاجر » التى غادرت العمارة ٠

وقف قبالة جعدانة ٠٠ وترقب أن يرفع هذا الاخير بصره ٠٠ ومر زمن طويل ٠٠ طويل ٠ وتحرك جعدانة ٠٠ حرك يده وأسقطها فى جيبه ٠٠ وأخرج منديلا ومسح حبات عرق من جبينه ٠٠ ثم أعاد المنديل بيد مرتعشة ٠٠ ورفع رأسه ٠٠ وقال بصوت منخفض

ـ هل تريد أن أشكرك على المبلغ الذى اقترضته منك ؟

أجاب بحدة ٠

ـ لا ٠٠ لست أفكر فى القرض ٠

ـ تريد ماذا ؟

ـ أريد أن أبسط عليك رأيا ٠٠

ـ أيشغلك أمر وأنت أعزب ٠٠ ليست وراءك عمال ولا التزامات ؟

ـ هل تحس بارتياح فى هذا القبو ؟

ـ آه ٠٠ انه قدر ٠ هل يستطيع رجل مثلى أن يتحدى المقادير ٠

جذب كرسيا وتهالك فوقه ٠٠ ووضع يديه على طاولة جعدانة ٠

ـ المسألة ليست قدرا ٠ لان القدر لا يختار اذا أراد أن يضرب ٠

ـ هل أنت ملحد ؟

ـ أنت يا جعدانة تسلم أنفاسك هنا كل يوم ٠٠ وأنا مثلك ٠٠ وأم هانى تترقب قدومك آخر الشهر والعيال كذلك ٠٠ أنت بالنسبة اليهم لا أكثر ولا أقل من غرة شهر ٠ أنت غرة شهر يا جعدانة ٠ أتفهم هذا لو لم تكن فى دار التوثيق موثقا ٠٠ ولو كنت دون عمل ٠٠ لو لم تكن مثل المساكين تترقب غرة الشهر لاطردتك أم هانى٠٠ لأكل العيال من لحمك٠٠ جرب٠٠ لازم الدار شهرا واحدا ٠٠ أو أكذب عليهم ذات غرة شهر ٠٠ قل لهم ان مرتبك ضاع ٠٠ سرقوه ٠٠ اختطفوه منك ، سيطردونك بلا رحمة ، سيمزقون جلدك اربا اربا ٠ هل تعتبر هذا قدرا يا جعدانة ؟

ـ لقد تغيرت الدنيا ٠ انى لا أفهم ٠ ان الفراش لا يجمعنى مع أم هانى الا غرة كل شهر ٠ وحق السماء ٠ أنا أيضا أترقب غرة الشهر بفارغ الصبر لاحمل مرتبى الى أم هانى ٠٠ وليجمعنا الفراش ٠

صرب بيده على الطاولة فاهتز جعدانة ٠

ـ أتعرف ٠٠ لقد ضحكت الخادمة فى وجهى أمس !

ـ وعندك خدم أيضا ؟

ـ أتعتقد ذلك ٠٠ لقد اصطحبت امرأة ذات يوم من سوق سيدى البحرى لتكنس المنزل ٠٠ واتفقنا أن يكون ذلك مرة واحدة٠ لقد تجمعت الاوساخ حتى وصلت قلبى ٠ وعند وصولها الى المنزل عدلت عن الفكرة ثم أصبحت تأتى ٠٠ هذا كل ما فى الامر ٠

ـ وتريد ماذا اذن ؟

ـ أريد أن أنسلخ عن الوظيف ٠

ـ أفكرت مليا ؟

ـ وأنت ألم تفكر بعد ؟

ـ كيف ؟

ـ نفعل شيئا آخر ٠

ـ نفعل شيئا آخر ؟

ـ فى حضائر الشغل ٠٠ فى الدكاكين فى المقاهى ٠٠ فى المزابل ٠٠ كل شىء الا الوظيف ٠

ـ ولكن أم هانى ٠

ـ ألم تصرخ فى وجك أم هانى ؟

ـ صرخت ٠٠ ولكننى لن أستطيع أن أكون نادلا فى مقهى

ـ وهل هناك أيسر من عمل النادل ؟

ـ انى مصاب بشىء كالفالج ٠ لا أتحمل الوقوف ولا الدوران ٠

تزحزح من على كرسيه واتجه نحو مكتبه ، وتابعه جعدانه بنظرة فاترة ، وقال بشىء من التردد ٠

ـ هل تتعشى عندى غدا ؟

ثم أخلدا الى الصمت ٠

نهضت ريم شعرها أمام مرآة مخدوشة وأخذ مكانه على الكرسى يـدقـق فيها النظر ٠ وكانه يحدق فى المجهول ٠

ـ ريم ربما قطعوا الماء من حين لآخر !

ـ سنلتجىء الى حنفية الشارع ٠
ـ إنها معطوبة
ـ قلت لك أخرج من جلدك
ـ افعل ماذا
ـ أخرج من جلدك
ـ أأهرب من الوظيفة ٠٠ وأتسكع ٠
ـ ليس هناك من يتسكع غير الموظفين ٠
ـ ليس أمامى أى حل ٠ أنت تحلمين ٠
ـ صاحبة العيال لا تحلم ٠ أولادى يحتاجون الى الخبز كل ساعة ٠٠ وأنا فى حاجة الى الراحة ٠
ـ انك تخونين زوجك ٠٠ وأولادك ٠
ـ وأنت تخون نفسك ٠٠ أنا فى حاجة الى سند ولن أموه ٠٠ خيانة الآخرين خير من خيانة النفس ٠
ـ ضرب بقبضة على رأسه ٠٠ وواصل
ـ تقولين اسمك ريم ٠

ـ لا أقول ان اسمى ريم ٠٠ لست فى حاجة الى أن أقول ذلك ٠
ـ وزوجك ؟
ـ زوجى لا يسأل عن شىء ٠٠ انه يعمل وكفى ٠٠
ـ أين يعمل ؟
ـ موظف ٠٠ لا أدرى أين ٠
ـ ريم زوجة الموظف ٠
ـ لا أريد أن أخون نفسى ٠ حاول أن تلقى نظرة واحدة على البضائع فى السوق ٠
ـ انها فكرة ٠
قفز من مكانه ٠٠ فتح الباب ومرق الى الخارج بقوة كأنه يستعد للحرب ٠
خرج صباحا من نهج رماده يجر ساقيه ٠٠ لم يقطعوا الماء بعد ! سرحت خطواته فى اتجاه سوق « سيـدى البحـرى » ٠ كان يرتـدى ثيابـا عـادية

بعضها أصبح باهتا من كثرة الاستعمال ، وبعضها الآخر مازال يحتفظ بشيء من الجدة ٠

أحس بيد تربت على كتفه ٠٠ التفت ٠٠ كان جعدانه يبتسم ٠٠ جعدانه مرتد سرواله الذى لا تتحرك فيه ساقاه ، ولكن السروال هو الذى لا يتحرك ٠٠ جعدانه بفرجة قيمصه التى تكشف عن صدر ذى شعر أبيض قصير وبجانبه تقف «ريم» وعلى شفتيها ابتسامة هادئة «ما الذى جمع جعدانه بريم؟»

قال جعدانه :

ـ أقدم لك أم هانى ٠٠

ثم التفت اليها

ـ لقد حدثته عنك كثيرا ٠٠ انه يعرفك جيد !

قال بلهجة احتجاج

ـ أم هانى ٠٠ غير معقول ٠

ابتسمت ام هانى ٠٠ ثم غمزت بعينها فتدارك الموقف وقهقه ٠

ـ أم هانى ! كنت أظنها اكبر سنا يا جعدانه ، ان أم هانى ما تزال صبية !

ضحكوا جميعا وانطلقوا ٠٠ وحاذر ما استطاع من مناداتها بريم وظل يحرس نفسه الى أن انتهى العشاء ٠ وعند مغادرته المنزل غمزته بعينها فضحك بمرارة ٠

وقف قرب المقهى ٠٠ لقد نسى شيئا ٠٠ وكان لابد أن يتذكر ٠٠ تحسس ريقه بلسانه فلم يجده ٠٠ لماذا جاء الى هذا المكان بالضبط ٠٠ لابد أن هناك دافعا قويا ٠٠ الايام تحك قلبه وتعصره وهو لا يستطيع أن يتذكر ٠٠ وانكمشت يده على شيء كالورقة أو كالمنديل ٠٠ ثم تذكر أنها فاتورة الماء ٠٠ تردد فى الذهاب وفى البقاء ٠ لو ذهب وتذكر بعد مسافة طويلة ؟ لو بقى ولم يتذكر بعد مرور وقت طويل ٠ حرك ساقيه فى مكانه كالجمل يلسعه النمل ونظر الى فوق ٠ انها السماء زرقاء داكنة ، صافية مغبرة ٠ ما أحوجه الى النوم ! بحركة قوية جذب فاتورة الماء ومزقها « ليقطعوا الماء » أنا موظف قرر أن يواصل السير حتى المقهى ، ليراقب حركات النادل ٠

الطبيعة والديالكتيك

بقلم : الطبيب الحر

-2-

القول بجدلية الطبيعة (16 مكرر) والعلم المعاصر :

كان العلماء على عهد هيجل وماركس وانجلز يعتقدون أن الطبيعة تتركب من 92 عنصرا، كل عنصر يتكون من جزئيات هي الذرات فالذرة اذن هي وحدة الكون كله وان كانت هي في ذاتها غير معروفة الا بخواصها تختلف تلك

(*) راجع مجلة « الفكر » العدد 6 ـ السنة 22 ·

(16 مكرر) كتب انجلز الى ماركس رسالة بتاريخ 30 جوان 18713 منها يستطيع القارىء أن يتبين أن أفكارا ثلاثة أساسية اختمرت في ذهنه عن « جدل الطبيعة » ، هي :

1) التلازم الضروري بين المادة والحركة أي أن الحركة هي شكل وجود المادة ·

2) الصور المتنوعة للحركة والعلوم المختلفة التي تدرس هذه الصور كالميكانيكا ، والفيزياء ، والكيمياء ، وعلوم الحياة ·

3) الانتقال الجدلي من احدى هذه الصور الى صور أخرى مما يترتب عليه الانتقال من علم الى علم ·

ان هذه الافكار العامة الاساسية عند انجلز لا تختلف عن الصورة التخطيطية العامة التي وضعها هيجل في فلسفة الطبيعة حيث قسم هيجل الصور المختلفة التي تتشكل منها الطبيعة بصفة عامة الى ثلاث :

العناصر الاثنين والتسعين فيما بينها كيفيا أى فى الخواص · وسمح هذا التعدد واختلاف تأثير المواد بعضها فى بعض بالقول بوجود التناقض أو الصراع فى الطبيعة أو المادة · أما فى عصرنا فطالب مدرسة ثانوية يعرف اليوم ما كان مجهولا فى عهد ماركس · يعرف ان الذرة لها تركيب يرتكز على نواة يحيط بها عدد من الالكترونات تتحرك بسرعة كبيرة جدا · ثم ان الذرة تتكون من بروتونات ونترونات · الالكترون كهرب ذو شحنة سالبة والبروتون كهرب ذو شحنة موجبة · النترون متعادل وقوامه بروتون والكترون ملتصقان · واستطاع العلم أن يقول لنا أن كل اختلاف فى الظواهر التى نراها فى المادة وتركيباتها يرجع الى خلاف فى عدد وتركيب الالكترونات فى ذرات تلك المواد فمثلا اذا كانت الذرة تحوى الكترونا واحدا فالمادة هيدروجين واذا كانت تحوى ثمانية فهى أكسيجين واذا كانت تحوى اثنين وتسعين فهى يورانيوم · وتتعدد وتختلف الخواص الكيميائية باختلاف وتعدد هذه التكوينات · أما عدد الالتكترونات فهو يساوى عدد البروتونات ومعنى هذا ان الشحنة الموجبة فى

---

1) الميكانيكا ، التى تدرس عنده المادة التى لم تتشكل بعد فى هذا الشىء أو ذاك : أى انها لا تدرس الموضوعات الجزئية ولكنها تدرس العلاقة الآلية والهندسية المجردة بين هذه الموضوعات ·

2) الفيزياء وهى ترتفع عن هذه النظرة المجردة الى دراسة الموضوعات المادية باعتبارها كائنات جزئية مفردة لها خصائص معينة وصفات محددة ويؤدى ذلك الى دراسة الصور العليا للطبيعة او الطبيعة اللاعضوية

3) اما الانتقال من الطبيعة اللا عضوية الى الطبيعة العضوية فانه يتم عن طريق التفاعلات الكيميائية وتمر المادة العضوية بثلاث مراحل هى :

أ) الجيولوجيا ·

ب) مملكة النبات ·

ج) مملكة الحيوان التى يبدأ فيها الوعى فى الظهور ومن هنا كان الكائن الحيوانى هو الصورة النهائية للطبيعة أى الانتقال الى مجال الروح ·

لقد راجع انجلز هذه الفكرة الهيجلية عن الطبيعة على ضوء المكتشفات العلمية فى عصره بعد وفاة هيجل ويظهر ذلك جليا من تصنيفه للعلوم الطبيعية تصنيفا يكاد يتفق مع تصنيف هيجل السابق ذكره ·

اعتمدنا فى هذه الملاحظات عن كتاب « جدل الطبيعة » لانجز على كتاب إمام عبد الفتاح إمام المذكور ، ص 251 وما بعدها ·

أى ذرة تساوى الشحنة السالبة ومعنى هذا ايضا أن « الذرة من أى مادة فى حالتها العادية وحدة متزنة مستقرة خالية من التناقض الباطنى والصراع »(17)

وقد كان معروفا فى العلم ، حسب قانون كولمب ، أن أى جمع بين شيئين لهما شحنتان كهربثيتان من نوع واحد ، أى موجبتين أو سالبتين نتيجته هو التنافر ، واذا كانتا من نوعين مختلفين فالتجاذب • فيبنى على هذا القانون مبدأ اعتبار السالب نقيضا للموجب ولكن العلم ـ كعادته ـ لم يتوقف فاثبت وجود مسافة تقدر بجزء من ثلاثين مليون من السنتمتر اى ما يعادل ثمن 1/8 قطر أكبر ذرة ، يبطل عندها مفعول هذا القانون • والنتيجة من هذا هى بطلان وجود الجذب والتنافر ، وخلو الذرة من التناقض وبالتالى الصراع •

وقد كان العلم لمدة ثلاثة قرون يفسر الحركة اعتمادا على قوانين نيوتن • فالجسم يستمر ، مثلا ، فى حالة سكون أو حركة منتظمة فى خط مستقيم ما لم تؤثر فيه قوة هذه الحالة ، ولما كانت الاشياء تلقى فى الفضاء فتسقط الى الارض كان قانون الجاذبية هو الملجأ لتفسير هذه الظاهرة ولم يشك فيه أحد • واعتبر **القصور الذاتى** مضمونا للقانون الاول **ونقيضا للجاذبية** مضمون القانون الثانى •

وعندما يقول الماديون الجدليون بأن كل شيء هو قوة جذب وقوة طرد ، أى يحوى صراعا باطنيا ، نقيضين متصارعين ، فهم فى الحقيقة يستندون الى قوانين نيوتن التى جعلت من **القصور الذاتى** نقيضا متصارعا مع **الجاذبية** • وعندما ظهر انشتاين عدل قوانين نيوتن ، واثبت أن الجاذبية ليست قوة وأن القول بأن كل جسمين ماديين يتجاذبان نوع من الخداع غير مطابق للحقيقة العلمية فى تصوير الحركة • فلم تعد الجاذبية نقيض القصور ، ولكنهما وحدة واحدة وكل الظواهر التى فسرتها قوانين نيوتن فسرتها نظرية النسبية « ولكن قوانين نيوتن التى كانت تتضمن التناقض بين الجاذبية والقصور الذاتى كانت عاجزة عن تفسير ظاهرة فريدة فى الكون هى ظاهرة حركة عطارد وانتقاله فى مداره ، فلما استطاعت النظرية النسبية تفسير ذلك اثبتت تفوقها على نظريات نيوتن ، وأنها أشمل وأصح منها فانهار التناقض المزعوم بين ما كانوا يسمونه قوتى الجذب والقصور الذاتى ، وكان علماء الطبيعة يعتقدون أن الطبيعة قائمة على عنصرين هامين : الطاقة والمادة واعتبروا المادة

---

(17) د• عصمت سيف الدولة ، أسس الاشتراكية العربية •

شيئا خاملا ملموسا يمكن تمييزه بشيء اسمه الكتلة ، واعتبروا الطاقة شيئا نشيطا بدون كتلة ، وبذلك أصبح السكون نقيض الحركة والمادة نقيض الطاقة ثم أثبت العلم وحدة الطاقة والمادة ، والمادة هى طاقة مكثفة (مركزة) ، والطاقة والمادة لا تحتاج لكى نقول عنها أنها طاقة الا أن تسير بسرعة الضوء مربع ، فزال ما كنا نتصور أنه تناقض » (18)

وكانت المادة الخفيفة تعتبر نقيض المادة الثقيلة والسائل نقيض الجامد ، والابيض نقيض الاسود ، والحار نقيض البارد ٠٠ الى غير ذلك ٠

فجاء العلم مثبتا أن المادة تتحول من الخفيف الى الثقيل ، وبالعكس ، ومن السائل الى الجامد ، وبالعكس ، وان كل نوع من المادة يتحول الى ثان ، ولا يتطلب هذا غير التعديل فى عدد وترتيب عناصر الذرة من الكترونات وبروتونات وأمكن تحويل بعض العناصر الى ذرات عناصر أخرى (19) ٠

بهذا عرفنا أن الذرة خالية من التناقض الباطنى والطبيعة هى عبارة ، فى كل أشكالها المتكونة منها ، عن ذرات ٠ فالطبيعة حينئذ أو المادة لا يدور داخلها صراع ، فالمادة ليست جدلية ٠ وبهذا تسقط المادية الجدلية كفلسفة ومنهج تغيير عند الماركسيين الارثوذكسيين ٠ فلا حاجة مطلقا الى الجدل كى نفسر تحول المادة من نوع الى آخر بعد أن أثبت العلم ـ وكلنا لا يملك أن يتحدى العلم ان كنا نحترم العلم ونتائجه حقا ، أما أن نكون متمسكين بمجموعة من المعتقدات القبلية فذلك أمر آخر ـ ان تحولها الى تركيبات مختلفة يتم عن طريق اندماج الذرات ويتطلب ذرتين على الاقل تكون درجة تشبعهما مختلفة لتندمج فتصبح الدرتان ذرة واحدة من نوع ثالث أى لا بد من وجود تأثير خارجى أى تأثير ذرة أخرى كى يتم التحول ، وهذا لا يتفق مع مفهوم الجدل الذى يقوم على التحول من الباطن كما أكد ذلك لينين بنفسه ٠ فالجدل هو

---

(18) د٠ عصمت سيف الدولة ، المرجع نفسه ٠ انظر النص الفرنسى لعالم الفيزياء الذى أوردناه آنفا ٠

(19) أمكن تحويل بعض ذرات النتروجين الى ذرات أوكسجين بفضل العالم رودفورد ٠ كما أمكن تحويل بعض ذرات البلاتين الى ذرات ذهب ٠

دراسة التناقض في الشيء ذاته (20) واذا انتقلنا من عالم الذرة الى مركباتها أي عالم الانواع حيث تقسم المادة الى تعميمات حسب خصائصها وتأثيرها وتأثرها بغيرها ، فبعد ان كان مثلا الهيدروجين الكترونا واحدا وبروتونا واحدا ، وكان الاكسيجين ثمانية الكترونات وثمانية برتونات ، اتحدا فأصبح هناك ماء يحتوى على ذرتين من الهيدروجين وذرة من الاكسيجين يعبر عنه كيميائيا بـ H_2O • ثم يتحول الماء الى جليد أو بخار فنقسمه الى ثلاثة أنواع تبعا لصلابة مظهره ، ونقول عن هذا أنه تحول نوعي في حين أن كل ما حدث هو زيادة في سرعة الجزئيات بتأثير الحرارة ، فتحول الماء الى بخار ، أو تضعف هذه السرعة فيتحول الماء الى جليد ولكنه يبقى دائما ماء (21) ويتحد الماء بغيره

---

(20) يقال عن القنبلة الذرية انها تجربة تفتيت الذرة وهو ما قد يوحي بأن المادة تتحول الى طاقة من غير تأثير خارجي وهذه مغالطة • فالطاقة الذرية مؤسسة على ما لا حظه العلماء من أن الطاقة التي تأتينا من الشمس والنجوم تنبعث أثناء تحول الهيدروجين الى هيلوم في عملية معقدة تشترك فيها عوامل متعقدة وان كان التحول الجوهري فيها هو اتحاد أربعة ذرات من الهيدروجين لتكوين ذرة هيليوم • ولما كان الوزن الذرى لذرة هليون أقل من الوزن الذرى لاربع ذرات للهيدروجين فان عملية التحول تسفر عن نقص في الكتلة • هذا الفرق هو الطاقة التي تأتينا من الشمس وفي القنبلة الذرية كما في الهيدروجينية • اتخذ هذا الاساس لتوليد الطاقة ، أي التأثير الخارجي على الوزن الذرى عن طريق الادماج أو الشطر بحيث يبقى فائض هو مقدار الطاقة الناشئة عن القنبلة – راجع د• عصمت سيف الدولة •

(21) وحتى لو سلمنا بان التغيرات الكمية المتدرجة في حرارة الماء ينتج عنه تحول كيفي بحيث يتغير الماء ويصبح بخارا • فماذا بعد هذا ؟ يتحول البخار بعد ذلك الى ماء مرة ثانية ، فأين هو التقدم ؟ يقول الفيلسوف الفرنسي « جان بول سارتر » في كتابه « المادية والثورة » والذي أشرت اليه سابقا : « انني أرى هنا ، لا شك ، أن الماء لم يعد محتوى في الاناء لكنه في الخارج على الاعشاب والارض ، وفي شكل ندى ولكن ذلك ليس الا تغيرا في المكان فبأية ميتافيزيقا نرى في هذا التغير المكاني تقدما »• ثم أليس بمجرد اتحاد ذرتين من الهيدروجين مع ذرة من الاوكسيجين ينتج الماء بشكل مباشر دون تغير تدريجي ودون نقاط عقدية ؟ كما يشير الى ذلك امام عبد الفتاح امام في الكتاب المذكور •

وغيره بغيره والناتج عن هذا الاتحاد ملايين المركبات المعقدة التى تتخذ اشكالا وخصائص لا حصر لها ٠ ومن اجل فهمها نضطر الى تقسيمها الى أقسام ثم الى أجناس ٠ فمن حيث اللون تقسم الطبيعة الى سبعة ألوان أساسية ، ومن حيث الصلابة الى ثلاثة : غاز وسائل وجامد ، ومن حيث الكتلة الى مادة وطاقة ثم الى جماد ونبات وحيوان ثم الى حيوانات مائية وأرضية وبرمائية ٠٠ الخ ٠

ثم نرى تباعد الانواع فى خصائصها ، وبالتالى تختلف وتبدو غريبة عن بعضها البعض فنتوهم وجود تناقضات بين نوع ونوع ويقودنا هذا الى تعميم الحكم فنقول ان كل شىء يحوى تناقضا باطنيا وبالتالى صراعا داخليا أى ان كل شىء جدلى و « نذهب الى بناء فلسفات ومذاهب نكاد نرغم الناس على التسليم بها تسليما » ٠ ونتجاهل عمدا أن نقطة الانطلاق وهى الذرة التى تعد **وحدة الطبيعة** ليس فيها صراع ولا تناقض ٠ وكل ما فى الامر أن كل الانواع تكونت نتيجة اندماج الذرات وتأثرها وتأثيرها وتحولها فى حركتها الدائمة وناتج هذا التأثير المتبادل تغاير الانواع ٠ وان الكم هو كمية التأثر وان الكيف هو تغيير الخصائص والمظاهر فى عملية التحويل على وجه يتفق وتقسيمنا الطبيعة ومظاهرها وخصائصها المتعددة ٠

والجدير بالملاحظة أن العلماء الروس قد انتبهوا فى دراساتهم الى عدم جدلية المادة (22) جاء فى طبعته الاولى باللغة الانجليزية لا تحمل تاريخا للنشر ، ص 81 ، 82 ، تحت عنوان « الحتمية والعلم الحديث » ما يلى : « كان علم الطبيعة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر المقصور على دراسة عالم المرئيات (الماكرو ـ فيزياء) أى عالم الاجسام الكبيرة نسبيا وجزئياتها ، والمؤسس بشكل رئيسى على ميكانيكا نيوتن ، تسوده الحتمية الميكانيكية ٠ وكان مميزه الذى هو فى الوقت ذاته عيبه ٠ أنه يجعل من كل سبب ميكانيكيا ومثال ذلك كرة البلياردو عند دفعها بالعصا ، فقوة الاندفاع فى الكرة مساوية للقوة المنقولة اليها من العصا ٠ والقول بألا شىء فى الاثر يتجاوز السبب يمثل نموذجا للحتمية الميكانيكية ، ويترتب على هذا أننا اذا عرفنا حالة جسم أو مجموعة من الاجسام فى أى وقت أمكننا عن طريق قوانين الميكانيكا التقليدية (قوانين نيوتن) أن نحدد مقدما حالتها فى أى وقت فى المستقبل ٠

(22) فى كتاب ألفه تسع وثلاثون عالما روسيا صدر تحت عنوان « أسس الماركسية اللينينية » ٠ راجع د٠ عصمت سيف الدولة المرجع نفسه وراجع امام عبد الفتاح امام المرجع نفسه ٠

وقد تأيد هذا المبدأ وتأكد بدراسة الحركة والتأثير الميكانيكي المتبادل في الاجرام السماوية وكذلك في الاجسام المرئية في الارض والجزئيات ٠٠ ففي المرئيات تتميز حالة الجسم المتحرك بموقعه في المكان وبسرعته في الوقت المعين ويمكن تحديد هذه الخصائص تحديدا دقيقا ، وبمجرد معرفتها نستطيع أن نحدد بدون أي لبس حالته في أي وقت في المستقبل وعلى اساس قوانين الميكانيكا الكلاسيكية » ان هذا الكلام يسقط كل ما بذله انجلز في كتابه « ضد ـ دهرينج » و « جدل الطبيعة » كي يثبت امكانية تطبيق الجدل على المادة ٠

ويضيف هؤلاء العلماء السفيات « أما في العالم غير المرئي (الميكرو فيزياء) فنظرا للمميزات الخاصة لظواهره نجد أن حركة المادة فيه أكثر تعقيدا ، ويبدو هذا على وجه خاص من أننا نستطيع ان نحدد بأي درجة مطلوبة من الدقة اما وضع الجسم واما سرعته ٠ ولكن قوانين الميكانيكا الكلاسيكية غير كافية عند تطبيقها في العالم غير المرئي ، اذ لا نستطيع بها أن نحدد مقدما كلا من موضع وسرعة جسم غير مرئي ومع ذلك فبمعرفة قوانين الميكانيكا الكوانطية (أي قواعد الميكانيكا الخاصة بحركة غير المرئيات) يمكن تحديد وضعها المحتمل في أي وقت في المستقبل » ٠

والنتيجة التي نخرج بها من هذا الكلام المنقول هو استبعاد الحركة على أساس قانون التناقض الجدلي من عالم المادة المرئي وغير المرئي ، وأن تحديد وضع المادة في المستقبل أي غاية تطورها يقع على وجه الدقة مقدما حسب قواعد الميكانيكا التقليدية (ميكانيكا نيوتن) في عالم المرئيات ، وعلى وجه الاحتمال حسب قواعد الميكانيكا الكوانطية (قواعد الميكانيكا الخاصة بحركة غير المرئيات) في عالم الذرة ٠

ونظرا لما في هذا الكلام من خطورة ايديولوجية بالنسبة للماركسية فان هاتين الفقرتين اللتين اوردتهما قد حذفتا من الطبعة الثانية لذلك الكتاب 1963 وما بعدها من طبعات وجاء الحديث عن « الحتمية والعلم الحديث » خلوا منهما ومن بديل عنهما ٠

ومع هذا يمكن ان نورد ما جاء في طبعة 1963 من كلام يوحي بشيء من التفريق بين الحركة على المستوى الانساني والحركة على مستوى الطبيعة والمادة يقول مؤلفو « أسس الماركسية اللينينية » ما يلي « ان الطبيعة والمجتمعات لا تعرف السكون المطلق والجمود » وهذا صدق غير أنه « يتغير شكل الحركة تبعا لتغير شكل المادة ، أبسط أشكال الحركة ، الحركة

الميكانيكية فى المكان ، وأكثر من هذا تعقيدا التفاعل الحرارى أى الحركة التلقائية للجزىء التى تؤدى الى الجسم الطبيعى • وقد أثبت العلم ان الضوء والاشعاعات الكهرومغناطيسية والنشاط الداخلى فى الذرة أشكال خاصة من حركة المادة • وثمة نوع من الحركة نجده فى التفاعل الكيميائى ، الذى تتحول به المادة عن طريق الاتحاد والانفصال بين الذرات والجزئيات والنشاط الفسيولوجى فى النبات والحيوان وتطور الاحياء ، تعبيرات خاصة فى الطبيعة العضوية عن الحركة التى هى خاصة عامة للمادة ••• وهناك شكل للحركة أكثر تعقيدا بكثير مما سبق نجده فى حياة الانسان الاجتماعية ••• الخ • وكل أنواع الحركة غير منعزلة بعضها عن البعض الاخر بل متداخلة ويتحول بعضها الى بعض • وهكذا يمكن أن يؤدى النشاط الحرارى الى تحولات كيميائية وظواهر حيوية ••• » •

ان انجلز كان صادقا عندما رد على دوهرنج بقوله : « لا توجد المادة بدون حركة ولا يمكن أن توجد » • والعلم يثبت اليوم هذا القول ويؤكده وأن المادة فى حركتها تلك تتحول بعضها الى بعض لكن هذا كله لا يفسر تحول اعادة من الماضى الى المستقبل او تطورها أو الحصيلة المستقبلة لحركتها ، وتأثيرها المتبادل وتحولها لماذا ؟

ان السبب بسيط ، لانه لم يكن هناك اينشتاين فى عهد ماركس وانجلز ذلك الرجل الذى أضاف البعد الرابع كحد لتعيين الاشياء والظواهر وكانت قوانين نيوتن والحتمية الميكانيكية هى كل ما يعرفانه فى عصرهما ولذا لم يكن من الممكن تفسير حركة المادة فى الزمان الا بتصور قوة تدفعهما من الخلف كما ذهب الى ذلك الفيلسوف الايرلندى بركلى Berkley (23) أو قوة تشدها

(23) هو رجل دين وفيلسوف ايرلندى (1685 ايرلندا ، 1753 أكسفورد بريطانيا) كان أستاذا فى Dublin لليونانية والعبرية واللاهوت، تحول الى أروبا وساهم فى محاولة نشر تعاليم المسيحية لدى الناس ، ختم حياته رجل دين • تتميز فلسفته ، كما يرى مؤرخو الفلسفة ، بكونها فلسفة مثالية ذاتية ترى الحقيقة فيما نحدثه نحن من تصورات عن ظواهر الكون وتتلخص فى كلمته المشهورة «L'être c'est le perçu» • وقد كان لافكاره تأثير فى يقظة الفكر الكانتى ــ أى تأثير فى كانت KANT بالذات حين فصل بين الوجود فى ذاته être-en-Soi والظواهر Phénomènes ــ راجع أحد قواميس الفلسفة أو الدراسة الممتازة عنه للدكتور يحى هويدى من سلسلة نوابغ الفكر العربى ــ دار المعارف بمصر •

الى الامام كما ذهب الى ذلك هيجل Hegel أو قوة من ذاتها تصل الماضى بالمستقبل بشكل قفزات كما قال ماركس الشىء الذى يحتم القول بجدلية المادة اى وجود تناقض وبالتالى صراع داخلى فيها · تقدم العلم وقال أصحاب « اسس الماركسية اللينينية » « تتم الحركة فى المكان والزمان كل ما هو موجود فى العالم متغير ، كل جسم وكل ظاهرة من الطبيعة لها ماض وحاضر ومستقبل وتلك أوجه الزمان · ان الزمان كالمكان طريقة كونية لوجود المادة · لقد أثبت هذا واحدة من أعظم النظريات العلمية فى عصرنا وهى النسبية Relativité لاينشتاين » ·

هل يجب أن نفهم من هذا أن حركة المادة من الماضى الى المستقبل أو تطورها يتم بالزمان دون حاجة الى الصراع الباطنى داخل المادة ذاتها · قالوا :

« يجب أن لا يفهم هذا الامر فهما مبالغا فى بساطته ـ أى صراع الاضداد أو التناقض الجدلى ـ **ان « الصراع » بين الاضداد بمعناه الحرفى المباشر يحدث بصفة رئيسية فى المجتمعات الانسانية ، لا يمكن على أى وجه أن نتحدث دائما عن الصراع بمعناه الحرفى بالنسبة الى العالم العضوى · أما بالنسبة للطبيعة غير العضوية فيجب أن يفهم هذا التعبير على وجه أقل حرفية وهذا هو السبب الذى من أجله وضع لينين ذلك التعبير بين قوسين ان هذا التمييز** لازم لفهم صراع الاضداد فهما سليما » · وشهد شاهد من أهلها · أليس من المنطق أن نعيد النظر فى قبليات ملأت عقول الكثير وحبست عنهم امكانية مواكبة التطور الذى يطرأ على معارف الانسان فليس من الممكن أن تعطى للمادة خاصية النمو التركيبى الذى هو خصوصية العقل فتطبق مقولات الدياليكتيك **على المادة قسرا وقهرا** ·

ان العلم بمنطلقاته ومناهجه ومبادئه هو نقيض الدياليكتيك · فأداة العلم التحليل وهدفه دائما ارجاع المعقد الى البسيط بينما يعد التركيب من مقومات الدياليكتيك · واذا استعمل العلم التركيب فان استعماله له يكون من باب المجاز أو من أجل مدلول آخر · فالماء مثلا ليس كلا حقيقيا يتحكم فى أجزائه بل هو حالة شكل · فعالم الكيمياء يستطيع فى كل مرة اعادة تحليل الماء الى عناصره · والتسليم بديالكتيك الطبيعة يحول الانسان الى مجرد « كائن طبيعى » يخضع للقانون الموضوعى الذى تخضع له المادة · وبديهى أن الانسان ليس هو الاشياء المحيطة به · لانه لو صح ذلك لما كان فى مقدوره أن ينتزع نفسه من مجرى التسلسل الطبيعى للموجودات من أجل أن يعطى معنى لتلك الموجودات ·

فديالكتيك الطبيعة مرفوض اذن • وكان من قبل قد رفضه الفيلسوف الماركسى المجرى جورج لوكاتش (24) فى كتابه المشهور « التاريخ والوعى الطبقى » الصادر عام 1929 • وككل المحبين للحقيقة العلمية والمخلصين لها ، لا المتزمتين والحرفيين اتهم المسكين بالتحريفية كما يتهم الروس اليوم بعض أقطاب الماركسية فى العالم أمثال جارودى • وبالاضافة الى لوكاتش هذا فان كثير من الفلاسفة الآخرين رفضوا جدل الطبيعة امثال كوجيف وهيبوليت وميرلوبنتى وسارتر وغيرهم حتى فى الصين •

لقد أثبت العلم مجموعة من القوانين العلمية الكلية التى تخضع لها كل عناصر الكون بما فى ذلك الانسان وهى فى اعتقادنا كافية لتفسير حركة المادة دون حاجة الى **الجدل** وهى :

1) التأثير المتبادل بين الاشياء والظواهر ، فكل شىء متأثر ومؤثر •
2) الحركة الدائمة للمادة
3) المادة تتحول دائما من نوع الى نوع
4) أما الجدل فهو قانون الانسان والانسان فقط

تسألنى كيف ذلك ؟ أقول لك للحديث بقية • والى اللقاء فى موعد آخر •

مدنين فى 10 / 1 / 1977

---

(24) (بودابست 1885 ـ مات منذ ثلاث سنوات ان لم تخنى الذاكرة) هو فيلسوف ورجل سياسة واكاديمى ، من اكبر المنظرين الماركسيين فى علم الجمال والادب والمسرح • شغل منصب وزير للتعليم فى حكومة « ناجى » 1956 عند الانتفاضة الثورية المجرية المعروفة ضد الاتحاد السوفياتى • فسجن ثم أطلق سراحه • ويعد لوكاتش من أعمق المفكرين الماركسيين فى عصرنا مكث طويلا فى موسكو 1926 حيث شارك فى البحث العلمى فى معهد الدراسات المعروف ماركس ـ أنجلز من أشهر مؤلفاته : ماركسية أم وجودية 1948 عربه جورج طرابيشى دار اليقظة للتأليف والنشر دمشق سوريا

وله « تحطيم العقل » 1955 ، ودراسات أخرى كثيرة فى فلسفة الفن • يتجه فكر لوكاتش الى طريق ثالث مضاد للمثالية والمادية الكلاسيكية ، كما يذهب الى ذلك ، مؤرخو الفلسفة • وانحصر نقده الفلسفى بصورة أخص فى المذهب الظاهراتى Phénemologie والوجودى existentiolite

ان خبرتنا التربوية تجعلنا ننصح بالاهتمام بالضبط وبالصلابة الاخلاقية بكل تأكيد • ولكن المهم هو ان ننمى فى الطفل الضمير الاخلاقى عن طريق الترغيب او الترهيب اولا وعن طريق التوعية والمحاكة العقلية ثانيا حتى يصبح الضبط انضباطا ذاتيا فيلقوم الطفل بوعى تام وبدافع داخلى بعمل الخير ويعرف الشر ويتجنبه • ثم الارتقاء بالطفل الى الوازع الدينى الذى يجعل الفرد يعيش دوما فى حضرة الله تعالى يعمل بأوامره ويتجنب نواهيه وهذا هو جوهر الاصالة التى نرجو ان تصبح اساسا للبناء الاخلاقى فى الاسرة •

4 — اعداد الوالدين : ليست مهمة التربية الاخلاقية فى الاسرة بالامر البسيط • انها تتطلب اعدادا خاصا للوالدين ، ولذلك فنحن نقترح تنظيم دورات دراسية فى صفوف مسائية اذا اقتضى الامر للاباء والامهات لتوعيتهم بواجباتهم نحو ابنائهم وتعريفهم بأنجع الطرق التربوية لاتباعها فى تربية ابنائهم تربية اخلاقية قويمة ومساعدتهم على حل مشاكلهم التربوية والنفسية ان وجدت • هذا وان المربى السويسرى الكبير بستالتسى يبدأ برنامجه التربوى باصلاح الاسرة وتكوينها تكوينا تربويا • ففى كتابه الروائى لنهارد وغرترود ينقذ الاسرة من الفقر والفساد الاجتماعى • فغرترود الام بطلة الرواية تحاول انقاذ زوجها العامل فى القرية من براثن سلطة شيخ القرية صاحب الحانة التى يجبر العمال على ارتيادها لتناول الخمر ولعب القمار وذلك ليبتز أجورهم اليومية ويعودوا الى عوائلهم مفلسين لا يحملون قوتا ولا متاعا • ولما تيأس غرترود من امكان تحرير زوجها من هذا الشقاء • تذهب الى مركز الولاية وتقابل الوالى فتقص عليه مأساتها • وبعد أن يقوم الوالى بالتحرى يزيح شيخ القرية عن مهامه وينقذ عوائل القرية جميعهم من براثن الفقر والفساد • ثم ان بستالتسى يلحق كتابه « كيف تعلم غرترود اطفالها » بكتاب « لنهاردو غرترود » وبذلك يكمل المنهج التربوى الذى يضعه للاسرة • هذا وان التربية الحديثة قد اتجهت الى التأكيد على أهمية تعليم الراشدين حتى ان البعض من المفكرين يرجع الاهتمام بتعليم الوالدين على الاهتمام بتعليم الاطفال • ذلك لان تعليم الوالدين يؤثر رأسا على تربية الطفل • ومن الصعوبة بمكان تأمين التربية الصحيحة للطفل اذا كانت الاسرة جاهلة ومتخلفة •

ثم اننا نقترح ادخال دروس خاصة فى المدارس الثانوية بعنوان « التربية العائلية » لاعداد الشبان والشابات الذين ستتكون منهم الاسر • وهذه الدروس تشتمل على مبادىء تربية الطفل وعلم نفس الطفل بصورة نظرية وعلمية تطبيقية • ولذلك نقترح الحاق « دار حضانة » للاطفال بكل ثانوية يتدرب

فيها الفتيات فى اوقات معينة على العناية بالاطفال وتربيتهم ٠ ولا حاجة للقول بان التربية المتكاملة تتطلب نقل الفكر الى الفعل فى كل نواحيها ٠ فلا يكفى ان ينصح الاباء والامهات نصائح نظرية مجردة بل لا بد من التطبيق والاراءة باعداد القدوة الصالحة والنموذج الحسن ٠

5 ـ **تهيئة البيئة الاخلاقية للاطفال** نقترح انشاء حدائق يلعب فيها الاطفال فى كل محلة وفى كل مدينة على أن يكون لعب الاطفال تحت مراقبة مسؤولة ٠ ان اهم مشكلة تعترض تربية الطفل هى بين البيت والمدرسة أى فى البيئة الثالثة فالاطفال الذين يقضون اوقات فراغهم فى الشوارع هم عرضة لاخطار مادية ومعنوية ٠ ان الاشراف على هذه الحدائق بعد ان تؤسس يمكن أن يكون عن طريق تبرع الامهات المتعلمات بالتناوب ٠ المهم هو ان تشعر الاسرة بمسؤوليتها عن تربية اطفالها تربية اخلاقية سليمة ٠ فتحميهم من اخطار الطريق ومن اخطار التحديات المعاصرة ولا سيما ما يأتى عن طريق السنما والاعلانات والحانات والتلفاز وصحبة السوء ٠

وأخيرا أختم حديثى بتلاوة للشاعر العراقى المعروف معروف الرصافى حيث يقول :

الأم مـدرسـة اذا أعـددتـهـا أعددت شعبا طيب الأعـراق

وأضيف بأن عصرنا هذا يتطلب اعداد الأب والأم معا فلا يقتصر على اعداد الأم وحدها ٠ ومن الله **الهداية والتوفيق**

الهموم وكسّطي

قصة بقلم عبدالعزيز فاخر

كانت له قطعة أرض ، قرب جدار المقبرة ، البناءات حولها تنتشر ، ويمتد انتشارها في كل اتجاه ٠٠ يطوق المقبرة ، ويقتحم جزءا منها ٠٠ فتدب الحياة في القبور ٠٠ وتنبت المنازل ، في اشكال هندسية متباينة ، وتتفتح في حدائقها الازهار ، والرياحين ٠ وتتسلق جدرانها ، أغصان الكروم ، والياسمين ٠٠

غطى البناء كل ساحة في المدينة ، الا أرضه ، بقيت وحدها في العراء ٠ جاء يتفقدها ، والاطفال يتقاذفون الكرة بأرجلهم ، فتفرقوا ، تاركين خلفهم الغبار ٠٠ يكلل شعر رأسه ، ويسقط على ثيابه ٠٠ ظل واقفا ، ينظر اليهم ، وهم يفرون الى منازلهم في عبث واستنكار ٠٠!

أخرج منديله من جيب سرواله ٠٠ مرره على رأسه ٠٠ مسح به وجهه ٠٠ خطا خطوات بطيئة ٠٠ ثم فرش المنديل على صخرة ، وجلس ٠٠

أجال النظر فيما حوله ٠٠ منازل جيرانه ، شاهقة ، ملتصقة ببعضها ٠٠ تطوق أرضه ٠٠ جدرانها تمتص الهواء ؛ فتختنق انفاسه ، وتشتد أزمته ، ويثقل رأسه ؛ فيحمله في كفيه ٠٠!

« جيرانك ، يودون شراءها ٠٠ ماذا تنتظر ؟! والى متى ونحن في حرمان ، وشقاء ؟ الخبز للارض ٠٠! اللباس للارض٠٠! حتى الدواء للارض٠٠!ماذا بقي لنا بعد الارض ؟! الارض لا تطعمنا ٠٠! نحن في ضيق ، وشظف عيش ٠٠! يكفي ما نحن فيه ٠٠ خلصنا يا رجل ٠٠! خلصنا من عناء لا طاقة لنا به ٠٠!»

مسكينة زوجتى الغبية ٠٠! حتى هى تريدنى أن أبيـع الارض ٠٠؟! للارض طعم خاص ٠٠ لم تذقه زوجتى ٠٠ الخبز ! صحيح ، لابد من الخبز ٠٠! ولكن ما طعمه ، بين جدران مشقوقة ، وتحت سقف مثقوب ٠٠؟!

ـ طارق ٠٠ طارق ٠٠ يا طارق ٠٠!

رفع رأسه ٠٠ فى نافذة جاره ، تنتصب امرأة بادنة ٠٠ تلوح بيدها ٠٠ تحرك رأسها ٠٠ تدعو ابنها للعودة سريعا الى المنزل ٠٠ تلح فى النداء ٠٠ وصوتها يتهدج ، ورأسها يتحرك٠٠ ينخفض٠٠ يرتفع٠٠ وهو يتابع حركة الرأس٠٠! يتحسس الصخرة تحته ٠٠! الصخرة ثابتة فى مكانهـا ٠٠ والـرأس تسـرع حركته ٠٠! يتساقط شعره ٠٠! ينكشف جلده ! تبرز عظامه ! تشتد حركته ٠٠ وجبل اللحم ثابت فى مكانه ٠٠! ترقص فوقه الجمجمة ٠٠! تثب ٠٠ تقفز ٠٠ ترتطم بالنافذة تتدحرج الى أسفل ٠٠ تغوص فى الاسس ٠٠ العمال يحفـرون الاسس ، يخرجون التراب ، فتخرج معه يد ، أو رجل ، أو رأس ٠ ويحل محلها الاسمنت ، والحديد ، والحجارة ٠٠ ويكتمل البناء ٠٠ والمرأة الجبل ، ما تزال تلح فى النداء ٠٠ وما يزال هو ينظر اليها ، ويطيل النظر ٠٠ فتغلق النافـذة ، وترتخى رأسه ٠٠

شدت نظراته بالارض ٠٠ الهبت شمس الظهيرة رأسـه ٠٠ جف حلقـه ٠٠ ضاقت أنفاسه ٠٠ تاقت نفسه لشمس أحلى٠٠! تلمظ طعمـا غريبـا فـى أسنانه ٠٠! التقط عودا ، وشرع يخطط علـى الارض خطوطـا ، متوازيـة ٠٠ متقاطعة ٠٠ منكسرة ٠٠ منحنية ٠٠

الجدران ، أرجل قوية ، يشد بعضها بعضا ، السقف ، جمـاجم ، كبيـرة ، وصغيرة ، نبيلة ، وحقيرة ٠٠! النوافذ ، أيد متشابكة ، وأخرى متعـانقة ، الممرات ، أضراس مرصوفة ، ومفاصل مبثوثة ٠٠ الابواب ٠٠؟ الابواب ٠٠؟

توقف العود عن الحركة ، طرحه بعيدا ، وأخذ حفنة من التـراب ، يسكبهـا فوق منزله ٠٠ علق التراب بكفه اليمنى ٠٠ عركه بكفه اليسرى ؛ فلصق بها ٠٠! بسط كفيه ٠٠ أمعن النظر فيهما ٠٠ ذرات التراب تتحرك ٠٠! تزدحم ٠٠ يشتد تزاحمها ٠٠ تدور حول نفسها ٠٠ ثم تتعاظم فوق بعضها ، فى شكل هرمـى ، تنوء به الكف اليمنى ٠٠ ذرات ، صغيرة الحجم ، تسلل من تحت الهرم ، الـى الكف اليسرى ٠٠ تسير ببطء ، مكونة سطحا منبسطا ، يتحـرك فـى اتجـاه واحد ٠٠!

اختل توازن الكفين ، ففصل ما بينهما ، وثارت ثائرة الهرم ٠٠ والسطح ٠٠:

الهـرم : ما كان للسطح أن ينبسط ، حتى تفقد الذرات أصالتها ، وتجبر على السير فى اتجاه معاكس ، أحدث الزلزال ، وفرق بيننا ٠٠!

السطـح : ما كان للهرم أن يتجمع ، حتى تعجز الذرات عن الصمود اليه ، فلتكن كل ذرة هرما حتى يلتقى الجمعان ٠٠!

الهـرم : الذرات فى أصل تكوينها ، تفاوت ، القوى منها يتسلق الضعيف٠ وبغير الضعيف ، لا يقام البناء ٠٠!

السطـح : القوة فى انضمامها ، فى صعيد واحد ، لا فى تجمعها فـوق بعضها البعض ٠٠!

الهـرم : هذا اختناق !

السطـح : الاختناق فى قاعدة الهرم !

الهـرم : الموت فى انبساط السطح !

السطح : الهرم نهم ٠٠!

الهـرم : السطح جفاف !

السطـح : ؟!؟!؟!

الهـرم : ؟!؟!؟!

تقلصت أصابعه ، تخنق الذرات فى كفيه ٠٠ تسحقها ؛ فتنفلت بين اصابعه ، متهاوية على السقف ٠٠ خر منزله ٠٠ انشطر الى نصفين ٠٠ رفسهما بقدميه٠٠ هشم الايدى ، والارجل ، والجماجم وطفق يضرب كفه اليمنى ، بكفه اليسرى، ضربات ، متوالية ٠٠ أوقفها منبه سيارة ، تبرز من المنعطف ، وتقف أمام منزل جاره ٠

وترجل صاحبها ، والتفت الى الجالس على الصخرة ٠٠ ثم اتجه اليه مرحبا :

ـ أهلا بجارنا العزيز !

ـ . . . .

ـ انى لم أرك منذ مدة ؟!

ـ . . . .

وهم بالانصراف ، فامتدت يده اليه ، فأمسك بها ٠

ـ كيف حالك ؟!

ضغط الكف ٠٠ على الكف ٠٠

ـ مالك صامت ؟!

اشتد ضغط الكف ٠٠ على الكف ٠٠ فتألمت أصابعها ٠٠!
ـ مالك ٠٠؟!

التصق الجلد ٠٠ بالجلد ٠٠ وحك الجلد ٠٠ الجلد ٠٠ فاختنق الخاتم المذهبى فى الاصبع ، يمزق الجلد ٠٠ ينفذ الى العظام ٠٠ يختلط بالسائل الاحمر ٠٠؛ فينفصل ما بين الكفين ٠٠ وتعود كل كف لصاحبها ٠٠ ويعود صاحب السيارة الى منزله ٠٠ وينصرف صاحب الارض مسرعا ، ناسيا منديله على الصخرة ٠٠!

ع٠ ف٠

أسمع الزهر ينبت في رحم الصّاعقة

شعر : منصف الوهايبي

طريقي الى شمس المدائن وعرة ولكن خيطا من ضياها يفودني
سأحرث أرض الحلم وهي أريضة فكوني سماء الحلم غيثا يجودني

أتزود من جسد الشمس من شفة الريح من نشوة الصاعقة

أتقدم فى الفلك نحو الحدائق (والفلك ضيقة ، ضيق مضجع الحب أيتها العاشقة)

والحدائق غارقة فى ضباب الزمان البعيد

شجر يتقدم ، أغصانه تتعانق فى أفق المدن القادمه

أصله ثابت فى تراب الحضارات والمدن النائمه

أيها القادم المتلفع بى لا تخنى ـ رأيت سماءك منقوطة بالنجوم ـ وخذ بيدى، فالطريق الى مدن الحلم وعر ، على جانبيه يقوم الكلاب السلاطين والشعراء الثعابين ، من يلبسون رياش الطواويس ، ينتصبون امام الكميرات والمكرفون

والجماهير فى الصدفه

والمجلات أوراق توت على عورة السلطنات الاخيرة ،

والسلطنات الاخيرة فزاعة تأكل الشمس أوصالها الخشبية والريح تكشف ما تحت أسمالها فهى مرتجفه

* * *

* * *

يسقط الثلج من قمة الجبل المتشامخ منتشرا يتكوم فى سفحه

أتدحرج عبر شوارع هذى المدينة منتشرا أتكوم فى حانة ،

أتجرع خمرتها وأمد البصر

(رجلان يسيران تحت خيوط المطـر

الرفيقان يبتعدان ، وفوق الكراسى الوثيرة تجتز صوف الكلام ،

وتسترق اللحظة الباسمه

افتـح النافذه

فى البعيد تر الرجلين وقد أصبحا رجلا واحدا فى الطريق الطويل الى المدن القـادمه)

وأحدق عبر الزجاج

(ماسح الأحذيـه

كان فوق الرصيف يغنى ويحلم بالخبز والعافيه

أغنياء المدينة مروا ولم يقفوا

فقراء المدينة مروا ولن يقفوا

وهو ينقر ـ منتظرا ـ فوق صندوقه الخشبى ٠٠ ويحدق فى الارجل العابره

أقبلت فى الظهيرة سيارة ٠٠ ترجل سائقها ، مد ساقا الى الماسح المترقب فارتفعت يده فجأة تصبغ الوجه والبدلة الفاخره)

حين ينطفىء الضوء أتركها مثقل الخطـوات لكـى نلتقـى فـى الشـوارع منفصلين وفى غرفتى جسدا واحدا تركوا فوقه بصمات مخالبهم ٠٠

* * *

مرة جاءنى الحلم يطرق بابى ويأخذنى من يدى الى شرفات الحدائق ، كان الطريق طويلا ، فلما بلغنا سياج الحدائق أسندت رأسى اليه قليلا فنمت، وحين أفقت تلفت فى وحدتى لم أجده وكان دليلى ٠٠

هو الخوف بعده يحرس مملكة الله ، للخوف رائحة أتنفسها فى شوارعهم٠٠ يرتدى وجهك الخوف ، تجلس مختفيا فى قميص التقية ،

تفصح بالرمز ، حين يتعتعك السكر تصحو وتسأل

هل يدرك الموت مملكـة الله قبل الولادة أم يدرك المـوت مملكـة الله بعـد الولادة ؟

والمنازل ان اقفرت فلها فى القلوب منازل آهلة منك ، سيدتى كنت أسنـد رأسى اليك اذا لبسوا خوفهم فأنا فى الليالى الطويلات أسند رأسى الى أرقـى

ولأنى أرى فى الحرائق زهر الحدائق أفضيت منهم الى غابة قد تدلت على عناقيدها وسمعت شذى خطواتك يقترب

آه أيتها المقبلـه
وطنى قاتلـى
هل رأى الناس قبلى وبعدى قتيلا بكى قاتله ؟

يرحل الليل ، أفتح نافذتى فى الصباح وأنظر : ما أكثر الناس ، ما أكثـر الناس لكننى لا أرى أحدا ، أين عشاقك ، ارتحلوا قبل أن يبزغ الفجر أيتها العـاشقـه

قادم فيك منك اليك وأنت على صهوة الفجر مقبلة ،

آه طال انتظارى ولكننى أسمع الفجر ينشق عن مدن الحب ، هذى حدائقها أتنفسها فرحا ،

أسمع الزهر ينبت فى رحم الصاعقه :
فلتخلع مولاتى أثواب الزمن الميت ولتتطهر فى البحر
ولتغسل مولاتى فخذيها حتى فلق العانة فى البحر
ولتفتح مولاتى الجسد البحر على مصراعيه وسواحله ومراسيه المغلوقه
فسنمخر فى الفجر عباب الجسد البحر فنفلحه فلحا
فسنبذر فى بطنك يا مولاتى غيفارا الطبقات المسحوقه
انى أتنصت ، أسمعها تتمرغ فى حمى الوجع
وأرى النسوة يمررن بأيديهن على الجسد المنقوط بحبات الزبد
وأرى أطفال الفقراء وعمال الميناء معى
ينتظرون صراخ الولد

رقصة على وتر الضياع

قصة بقلم : عبد الكريم التمسماني

تململ فى جلسته ٠ ونمت تقاطيع وجهه عن حزن بليغ ، وقال فى باطنه بأسى عميق : المتاعب لا نهاية لها ، والعذاب لم يعرف بعد الخاتمة ، وحياتى مزيج من المتناقضات وخليط من المصطلحات التى أغرق فيها عند خواتم كل شهر : الماء ، الكهرباء ، الكراء ٠٠ أف ٠

نظر باهتياج تجاه الورقتين المطالبتين بتأدية ثمن الماء والكهرباء ٠ وقال بغضب مشوب بأمل ضئيل : يا إلهى ، أما لهذا العذاب من نهاية ؟

شعر بالاختناق ، فارتدى قميصه وسرواله وخرج من منزله هائما ٠٠ انعكست أشعة الشمس على صلعته التى تذكر بالصخر الاملس فزادته حرارة٠ استولى عليه يأس خطير فتساءل : ما جدوى التسكع اذا كان الحزن يستوطنه ؟ ٠٠ أوشك على الرجوع الى المنزل ، ولكن سرعان ما عدل عن هذه الفكرة لما رأى أمامه حانة ٠٠ انتشى فى ظرف وجيز ٠٠ نبضت عروقه بدماء البهجة والسرور ٠٠ تعالت الحانة فى ذهنه كبرج بابل ، وأضحى الماء والكهرباء والكراء فى خبر كان ٠٠ توجه نحو الباب والقى نظرة «متنبئة» على الداخل ٠ فرآها تغرى بالدخول : شرذمة من الناس لا تتعدى أربعة أشخاص ، وفتاة تسقيهم خمرا ، وزجاجات الشراب المحرم ـ من مختلف الاشكال والالوان ـ مرصوصة وراءها ٠٠

ـ السلام عليكم يا رجال ٠

رد عليه اثنان : وعليك السلام ٠

بغنج وميوعة قالت الفتاة : ألا تخصنى بسلام ؟

قال ضاحكا : السلام عليك

فصاح رجل بدين : السلام عليك او عليكم سيان ٠ لا أهمية لشىء ٠

فأكد قوله رجل أسمر قائلا : أجل فنحن لسنا فى درس النحو ٠
وقال شاب أشقر باندفاع : ليسقط النحو وليعش الخمر !
وتكلم الرجل الرابع لاول مرة ، فقال وهو يتفحص كتابا فوق طاولته :
ـ ليسقط الخمر وليعش النحو !
٠٠ تتابعت الاحتجاجات :
ـ هذا كلام لا يقال فى حانة ٠
ـ هذا حديث المدارس ٠
ـ حضرتك أستاذ ؟ ٠
ثار قائلا : هذا يهمنى ٠

شعر بارتياح لولوجه هذه الحانة ، وتساءل : ألا يمكن أن تنحصر الحياة داخل هذه (الغرفة) ؟٠٠ شرب الكأس الاولى ، فالثانية ، فالثالثة ، فالسادسة ٠٠ وكان الآخرون يثرثرون وهو صامت ٠٠

ـ أنا « كسرى أنو شروان » ٠٠

انتبه اليه القوم ، وقال أحدهم بسخرية : رب وزير أعجبك وهو صامت ٠

احتله غضب هائج سرعان ما اندثر حينما سمع « الاستاذ » يقول :

وأنا « نابليون » ٠٠ لا ٠٠ أحد تلامذتى هو « نابليون » ٠٠ قال لى فى فناء الثانوية : أمنيتى الوحيدة أن أحكم بعض بلاد العالم كما فعل امبراطور « فرنسا » ؛ فقلت له : لتحقيق رغبتك اشرب زجاجة خمر مثلجة ، وستصبح حاكما على العالم أجمع دون أن تكون نهايتك فى المنفى ! ٠

ـ هذا كلام الفصحاء ٠
ـ هذا كلام العباقرة ٠
ـ أنت أستاذ الأساتذة ٠
قال الأستاذ بهدوء : أنا الحطيئة
سألته الفتاة بدهشة : من هو الحطيئة ؟ ٠
أجابها البدين : أظنه أحد تلاميذه ! ٠
تجاهله الأستاذ وقال : هو شاعر قصير هجاء ٠
ـ وهل أنت مثله ؟
ـ فى قصره فقط ٠

وعم الضحك أرجاء الحانة الدافئة ، وبدأت الفتاة تضحك باغراء محاولة أن تثير غريزة أحد المخمورين ٠٠ انبثق صوته فجأة :
ـ لن تعرفوا من أنا ؟!

سمع صوت الأستاذ يقول : أنت بديع الزمان الهمذانى ٠

انفجر البدين قائلا : عليك اللعنة ٠٠ اخرس فقد ملأت رؤوسنا بالاسماء الموجعة للأدمغة ٠

تشجع الاشقر فقال : نحن لا نعرف الا الخمر ٠ ليسقط كل ما يمت للخارج بصلة ! ٠

قال بغضب : يا أولاد الزنا ، قلت لكم لن تعرفوا من أنا ! ٠

أجابه الاسمر : ومن أنا ؟ ٠

قال بعنف : أنت ٠٠

استوعب الرجل الكلمة بسهولة غريبة ، وقهقه بلا مبالاة ٠

غضب ، فضرب الطاولة بقبضة يده وصاح بعنف ممزوج بالتهديد : من انا ؟

سأله الاشقر بصوت مبحوح : من أنت ؟ ٠

أجاب بكبرياء : أنا عنترة ٠

علت التصفيقات فى أركان الخمارة ، ولما هدأ الضجيج جاءه صوت الاستاذ وهو يعارض :

ــ ولكنك أبيض اللون ، والعفة ليست « مذهبك » فقد أفرغت فى بطنك عشرين كأسا على أقل تقدير ، وعيناك لم تغادرا ــ قط ــ وجه الفتاة ٠٠

صاح بحدة : قلت لكم أنا عنترة ٠

ــ ليحيا عنترة ٠

صرخ الاستاذ حتى انتفخت عروق عنقه : عنترة مات فى الجاهلية ٠

ــ ليرحمه الله !

ــ كان رحمة الله عليه عفيفا وشجاعا ٠

ــ ليرحمه الله !

ــ كان رحمة الله عليه مجتهدا يحفظ دروسه ويواظب على التمارين اليومية

ــ مــن ؟ ٠

ــ ابنى رحمه الله ٠

ــ وأى علاقة بين عنترة وابنك أجحمه الله ؟ ٠

ــ كان رحمة الله عليه يتغنى بشعره دائما فلقبته بعنترة ٠

انتابه شعور لذيذ بالفترة المرحة التى يمر بها ، وقال باستسلام مروع : لا يحزن فى هذه الحياة الا الحمقى !٠

شعر بدوار فى رأسه فقال : أرى الدنيا تدور ٠

ـ أنت سكران !! ··

تساءل غاضبا : يا عباد الله هل الارض تدور أم لا ؟

أجابه الاستاذ : الأرض ترقص ! ·

ـ إذن من السكران ؟·

ـ كلنا سكارى ··

طلب زجاجة ثانية ، وبقى يشرب حتى عجبت الفتاة منه · رفع عينيه الى السقف فرأى الضوء يتسلط على ناظريه ، وتذكر ـ فجأة ـ الورقتين المطالبتين بتأدية ثمن الماء والكهرباء · أحس بعلاقة غريبة بين ورقة الكهرباء ومصباح الحانة فاستوطنته لذة جنونية للتكسير ·· رفع الزجاجة ببطء ، ثم دفعها الى أعلى بكل ما فيه من جهد ·· اصطدمت الزجاجة بالمصباح ، وغرقت الحانة فى ظلام دامس ·· ارتفعت غمغمات السكارى ·· بدأ العراك وصراخ الفتاة يطغى على كل صوت ·· اللكمات ترقص على الوجوه ، والكدمات تزخرفها ·· أخذ زجاجة ـ فى الظلام ـ وحركها يمينا ويسارا ، فارتطمت برأس صلب دون ان تتكسر ·· بدأ يديرها فى كل جهة وهو يغنى أغنية خليعة ·· اصطدمت الزجاجة بأخرى فشعر بحاجة ملحة الى سماع اسطوانة ·· طارت الزجاجة من يده ·· بدأ يبحث عن زجاجة اخرى ·· سقط على طاولة ، ثم نهض لتستقبله لكمة عنيفة رمت به أرضا ·· حاول ان ينهض ولكن أقداما كثيرة داسته ·· اختلط الماضى والحاضر والمستقبل فى ذهنه ·· انعدم عنده الزمان والمكان ·· اجتاحته رغبة شديدة فى البكاء··شعر أن الحركة خفت فى الحانة··استمع جيدا الى اصوات خافتة : الانين ينبعث من كل ركن ·· جذبت انتباهه حركة أنفاس مسموعة فى ركن بعيد عنه ·· التجأ الى مكان الحركة ·· بصعوبة شديدة تمكن من مشاهدة شبحين مضطجعين بطريقة ملتحمة ·· أراد أن يجرهما ·· ولكنه سمع صوت الفتاة تقول : كفى ··

أحس بغضب لا محدود وقال فى نفسه : من هو الوغد الذى استغل الظلام ؟ ·· ؟ ·

حاول ان يفرق الشبحين ، فجاءته لكمة قاسية على أسنانه ·· وضع يده على موضع الالم وهو يكاد يبكى ·· وجاءته لكمات سريعة وعنيفة فارتمى بين الطاولات فاقدا لوعيه ··

ع· ك· ت·
(مكناس)

إلى مُهـاجر

شعر : محمد الغزي

انكشفي مثل الشمس
حتى أتطهر فى رجسك من رجسى
مازالت ذكراه تدس أصابعها فى رئتى
تتسلق سلم ذاكرتى
لو كان هنا
وأحس بما أحسست أنا
ورآك على صدرى تبكين بلا عينين وتبتسمين بلا شفتين
ورأى يدك المبسوطة فوق يدى كالجرح
تغسلنى برذاذ من ملح
لو كان هنـا
ورآنى أفتح بوابة شهوتك الموصدة الابواب
فأنا جئتك فى انفاسى المقطوعة فى خطواتى المتبوعة فى كلماتى الممنوعة
فى ظمئى
أسأل عينيك عن النبا
أستجلى الطالع فى جمرهما المنطفىء
يا ممطرة جدبـى
يا حاملة فى فخذيك رغيف الشهوة والحب
أنا آت من هذى المدن المنفى أسأل لا ألفى الا عينيك على دربى
فانا ما دامت عيناى الى الافق الاشهى
ويداى الى الخلف

(*) الأوزان المختلفة التى استعملتها **مقصودة**

أتغلغل في رجم الحرف
أطعمني من جوع آمنني من خوف
فلأبك على الدنيــا
ما دمت أنا في مقعدها الخلفي
قلت له ابق هنــا
عبثا تبحث عن وطن ان هاجرت الوطنا
دونك ابواب موصدة وكلاب رابضة وقلاع شامخة
دونك قام أبو الهول
دونك قامت عسس الليل
فابق هنــا
عبثا تبحث عن وطن ان هاجرت الوطنا
لو كــان هنــا
ورأى « سعاد » تمد يدا تتلمس وجهي باحثة ..
قلت لها عبثا سعيك لن تجدى
أوصيك أنا بالحقد ولا أوصى بالجلد
الى شرفات الحلم جاءك فارس
تعذبه الذكرى ويسكنه الوجد
يد في ظلام الليل ترسو بعيدة
وأخرى الى صبح المدائن تمتــد
أنت أيتها الخارجه
من حدائق صمتى القديم
آه مغلولة شفتى : لن أحدث عن مدن تورق الشمس في سور ظلمتها
لن أحدث عن وطن يسكن الصيف فيه جميع الفصول
فالى الشارع الآن يا شعراء : لنا الارض
حين نجيء اليها سيندلق الماء من ضرعها وتقول
« تبت يدا أبى لهب
وتب ما له وما كسب
من أرقـــى
من عرقـــى
عبر ليالى الجهد والتعب »

لقاء في مقهى

شعر: محمد الشابي

هل أنت ·· وافقتني ، كي
ندخل المقهى ···
هناك حلوى وثلج ···
داخل المقهى ···
كل المقاعد ·· في
الأركان ، تطلبنا ·· ونحن
في الليل ·· والحنين لا
ينهي ···

هذا قصيدي الأخير ··· فيه
خاطرة ·· ماذا
تقولين يا أملي ، عنها !؟·
لم أرج يوما ، بأن
يكون لي
أدب ··· إذ كنت
أبدؤها أو أنتهي
منها ···
إني أفكر أن تكون
لي امرأة ·· أرى لها
معاصما ··· وأشتهي
وجها ··
اللفظة ··· قد تسير في
مظاهرة ، فيأخذ
الثائرون زادهم منها ··
لكنها قد تكون الشمس ··· بين
يدي ·· اذا أتى
الليل ، نسأل الشذا
عنها ··

الآن أنت
تحدثني ، فلست أنا
ذاك الذي يأمر الأحباب ··· أو
ينهي ···
تكلمي دون أن
تزيني لغة ·· سيري
بحرية ··· فنحن في

ملهى ...
ما حالها أختك
الكبرى ... وهل نجحت
أحس أنك
باحترامها ولهى ...

تكلمى .. إن الكلام يا
أملى ، تفتحت
زهرة ، وأصبحت أشهى ..

تجولى بالحديث ... فى
عوالمنا .. فليس من
هذه الدقائق أشهى

شكلت كل مشاعرى ...
وأخيلتى ... وإن
تشوقى ... إلى
يديك ، لا ينهى ..

◆ صدر أخيرا للشاعر الصديق محيى الدين خريف مجموعة أناشيد عنوانها :

الطفل والفراشة الذهبية

وقد صدرت هذه المجموعة عن المركز القومى البيداغوجى والشركة التونسية للتوزيع وهى تعزز ميدانا يقل فيه الانتاج فنهنى الشاعر بهذا العمل الطيب ونتمنى أن نروج خاصة بين المربين والاطفال والموسيقيين .

ندوة القراء

الكتابة موقف

بقلم : فتحى اللواتى

حقا عندنا بعض الكتاب ، النقاد ، المربين والمؤرخين ٠٠ ! وعندنا ايضا بعض دعاة التمذهب ، وبعض المولعين بالتنظير ٠٠!

فعلا ! عندنا من كل شيء ٠٠ بعض الشيء !

هذا حسن ! ولكن الافدح : اننا لا نريد ، (والاصح اننا لا نستطيع) أن نكتب بما فيه الكفاية ، وبصفة جدية ! وهذا واضح ، مفهوم ومتداول بيننا ٠٠ لان بعضنا لا يستطيع اليوم الا ان يصمت ، أو يتجاهل ، أو يعيش هنا او هناك كالغائب ! وهؤلاء يعرفون بلا شك ، أن صمتهم ، او تجاهلهم ، أو غيابهم لا يمكن أن يكون الا ذلك « الموقف » الذى استحق ادانة بعضنا الاخر ! فالصمت موقف ٠ والتجاهر ، موقف ٠ والغياب ، موقف ايضا ٠ وهذا يعنى ، بشكل أو بآخر ، أن « بعضنا » لا بد أن يكون متهما ! وقد اصبح من الطبيعى جدا ، والضرورى جدا ، أن نطالب أنفسنا باثبات حضورنا الحقيقى المباشر ٠

وهذا الحضور معناه : موقف ، شهادة ، ادانة تجاوزية للصمت ، للتجاهل أو للغياب اللامطلوب حاليا ٠

وما اكثر « الكتب المنشورة » عندنا بلا اهتمام ، بلا نقد وبلا مراجعة ، لاننا لا نريد ، او لا نستطيع الا ان نتسكع بين بعض القراءات المجانية !

(*) يستطيع القارىء ان يراجع ما كتبه الاستاذ البشير بن سلامة حول « غياب النقد » ـ « الفكر » ـ عدد مارس 77 ٠

واذن ، فاذا كان « الكاتب » يكتب ، و « القارىء » قد يقرأ أو لا يقرأ ، فما معنى أن نكتب ونقرأ ؟

ان اغلب كتابنا يتوهمون انهم اكبر وأعقل من ان يهتموا بما يكتب بعضنا ، وهذا يعنى ، من وجهة نظر نقدية أيضا ، أن غرورهم المعتاد لا بـد ان يكـون المعادل الطبيعى لنرجسية ثقافتهم المهـدورة حاليـا بين الصمـت والتجاهـل والغياب ٠٠ لانهم ، بأكثر دقة ، لا يمكن ان يكونوا الا من ضحايا اللامسؤولية والاستلاب والتفوق الكاذب ٠٠

ويستطيع هؤلاء أن يكونوا من الرومانسيين ، والواقعيين ، الرمزييـن ، أو من الهامشيين ، او كاللامنتمين ٠٠ ولكنهم لا يستطيعـون أن يتسللـوا مـن هوياتهم المعروفة جدا ، ومن ارقامهم المكتسبة ، ومن عناوينهم المتداولة ٠٠

وقد يصرخ ويغضب بعضهم ، وقد يصمت بعضهم الآخر او ينتظر ٠٠ لكنهم لا يستطيعون الانسحاب من دائرة ذلك الذى كان ٠٠ ذلـك القـائم ، النـاطق والمتواصل بالتبنى ! وأمامهم ، خلفهم ، فوقهم أو تحتهم ٠٠ كتلة من رسائـل وغايات ٠٠ لكنهم لا يريدون اليوم أن يفهموا حتميـة مـا سيأتيهـم من تحـت التحت !

وليكن بعضهم ٠٠ من الشعبيين ، مـن الوجوديـين ، من المتهيكليـن ومـن المتمركسين أيضا ٠٠ لكنهـم لا يستطيعـون ولا يريـدون تجـاوز تقييمـات المتبرجزين !

ولتكن كتاباتهم ٠٠ مهذبة ، رسمية ، ثابتة او متأرجحة ٠٠ لكنهم سيحلمون أكثر فأكثر بالمزيد من التعقل والتمعشق والتألق !

وطبعا ، سيرفض هؤلاء ما لا يستحق الرفض علنا !

وفوق ذلك كله ، سيقولون لنا ، (وقد يصرخون خلـف أعناقنـا) : انـه الواقع ، وباستمرار ذلك الواقع ، ودائما هو ذلك الواقع ، ولا شىء غيـر مـا هو ٠٠ واقع !

وهؤلاء ينتمون طبقيا الى طابور كبار او صغار الموظفين والكتبة والمستكتبين او البعض من العاطلين بالضرورة ٠٠

وليس جديدا أن ينفر نموذج الكاتب ـ الموظف من ضحالة عملـة الرسمـى جدا ، فالتزحلق فوق الحيثيات الجاهزة دوما للحفظ او للتصديـر لا تناسـب

مزاجه الكئيب ، وضبط الحسابات القارة واللاقارة ستظل تضاعف فقره ، وتبويب تعليمات المتعلقين جدا قد نسفت بقايا صبره ٠٠

وقد يختار ذلك النموذج المطلوب جماهيريا أن ٠٠ ينسحب !

لكن « الانسحاب » هنا معناه ، بالنسبة اليه على الاقل ، التشرد والسهر ومضاجعة التمنى ٠٠

وهذا يعنى أن يكتب ، وأن يضطر للكتابة الاخرى : للتمرد ،

وعندنا ايضا ، كما علمونا أن نعلم ، أزمة ورق ، وقلة امكانيات ـ او نيات ـ وحفنة من شروط مسبقة مشروطة ٠٠

وقد قالوها مرة بعد مرة : ـ مهما حدث ، وما سيحدث فى دنيا الادب ـ القليلة الادب ـ فلا شىء يمكن أن ٠٠ يحدث !

وهل الكتابة هنا ، كاللاكتابة هناك ، برجزة ذاتية ؟

ان ما كتبه بعضنا بالامس القريب ، وما يكتبه اليوم بعضنا الاخر ٠٠ لا يمكن أن يكون سوى البديل الطبقى لفقرهم او لترفهم ! ولان القليل من هؤلاء ، قد اصبح من كتاب مستحيلنا الاتى ، فلا بد لنا ان نتصدع أكثر فأكثر فى سبيل أن نستعيد أفدح ما نملك : وعينا المنفى ـ طبقيا ٠

ولذلك ، فان اخطر ما يستهدف حضورنا ـ المرفوض حاليا لا ينبع ، رغم كل شىء ، الا من انفسنا ، من صمتنا ، من تخاذلنا ومن غيابنا اللاضرورى ٠

وانطلاقا من حتمية اعادة النظر فى كتاباتنا ، فقد صار من الطبيعى أن نتجاوز ما سبق لنا أن كتبناه ٠٠ كما صار من الاكيد أن نتجذر من الاسفل ـ الاعمق لينغرس أفقيا فى واقعنا المعاش ٠٠

فالكتابة هنا موقف ، شهادة ، حضور حقيقى مباشر ٠

ويجب ألا نصمت ٠

ويجب أن نكتب دائما وباستمرار ٠٠

وسنكتب حتى الموت ٠

تحية الى صاحب «الهزيمة والشفاء»

بقلم : عز الدين الأشهب

أخي م·ب·(١) تحية الود والصفاء· انطقتني درتك بعد صمت طويل، وقعت على رأسي كلماتها الحجرية الصلبة فايقظتني من غفوتي واطلقت عقال قلمي بالشكر والثناء على مجهودك · رفيقي في الدرب ، سر دائما الى الامام ولا تخش الصعاب ــ كان الله في عونك ــ · صح عاليا واملأ الدنيا ضجيجا ليصل صوتك الى كل الناس رغم البعاد والعباد ، ليصل الى القرية الى الجبل ، الى الوادى ، الى كل مكان · صوتك الصياح يجب أن يفتح الآذان الصم التى تسمع ولا تعى ، يجب أن يلفت انتباه العيون التى تنتظر ولا ترى ، يجب أن يوقظ القلوب التى تدق ولا تحس · لا تيأس يا صديقي ان لم يكن لصدى صوتك رجع قوى ، فالناس مرضى والشفاء قريب باذن الله · لا تبخل عليهم بلسعات السياط ولا حتى بقرقعة المطارق على رؤوسهم فذاك هو الدواء · لا تذهب بعيدا ولا ترهق نفسك بعناء البحث طويلا فالشظايا الملتهبة التى يوزعها قلمك وقلم من كان مثلك هي التى تبعد عنا كوليرا الزيف وحمى المجاملة والكذب ، هذه الاوبئة التى طمست عين الحقيقة ــ لا انبتها الله في ارض وابعد عنا نحسها النرجسي المقنع ــ · اخي قل لرفاقك على طريق الحرف المضيء : افيقوا يا ناس ·· كفانا ميوعة ·· لقد سكت الكروان عن الغناء وتوقف البلبل عن الشدو وحتى ينبوع

الخمرة المعتقة قد نضب · قل لهم : الاشعار الرقيقة لم تعد تهزنا وانغام الوتر لم تعد تطربنا فالى العمل الجاد يا اخوتي ، الى الرفش الى المعول ، الى الجباه السمر في حقولنا ، الى السواعد الشجاعة في معاملنا · لقد انتهى ادب القطط الحالمة في احضان الدفء ، وارض الاجداد تنتظر منا الكثير ، الكثير فهل من صادق يستجيب لندائها ؟

---

(١) الهزيمة والشفاء : قصيد للاخ محسن بن حميدة صادر في العدد 5 من مجلة « الفكر » لشهر فيفري 1977

أفاعي الألم

شعر : كمال القطعة

آستيقظى
إن الأسى يلفنى ،،
هات يدك
وخففى من ويلتى
هات يدك
وجففى لى دمعتى ..

يداك يا حبيبتى
كآية منزلــه
بل إنها القرآن
يحفظنــى
من طعنة الأحزان ..

يداك يا حبيبتى
حممتا الوجود بالأنوار
دفقتا العبير فى الازهار
فحممى لى قلبى بالنور ،
ودفقى فى قلبى العطور ،

رحماك يا حبيبتى !..
تعضنى أفاعى الألم
واخترقت سمومها فؤادى
فانهزمت فى داخلى مواكب النغم
قد هزها تيار ألف وادى ..
قصائدى المبتورة مسكينه
لا تعرف الهدوء والسكينه
تصفعها الامواج كالسفينه
لا تعرف الشواطىء الأمينه ..

يا قلب ويلنا
هل خاب ظننــا
واختل لحننا ؟
نعم فؤادى إننــا
قد خاب ظننا
إذ أننا ما زلنا فى الحضيض
جناحنا مهيض
لا نقدر التحليق فى السمــاء

مـوت «فينيـس»

شعر : زين العابدين الأسود

يـا نكبة الادمـان دهـرك جـاعنـي
اطعنتنـي أم كـان خلك طـاعنـي
جـرعت قلبك حب طفـل أمـه
كـأس الخديعـة سمهـا جرعتني
بعيـون « ليلـى » كيف شئـت حضنته
بعيون « ليلى » عند لقيـاك حضنتي
اطليـت خـدا قصد سبـى نواظـرى
وطلقـت شعـرا ، « أى خـل تفتـن ؟ »
ومشيتمـا فـى شارع قـد ضمنـا
يـا شارعى عفـوا أبيتك فأبنـي
كـانت وعـودك فـى الخيـال جنـة
صـارت حطامـا حيـن قلبك باعنـي
وئـدت أمـانى الحـب وهى رضيعـة
يـا لعنة فـى الغـدر عـاشت إلعنـي
« فينيـس » مـاتت هـل أتـوك بنعيهـا
فى الصدر مـاتت ، فافرحـي أو احزنـي
عينـى التـي عودتهـا أعطـافـك
عودتهـا فـى الحب مـا عـودتنـي
بـاتت ولا دمـع يجـرح خدهـا
صـامت سهـاد الليـل لمـا زارنـي
سألـت عـن المحبـوب مـا أخبرتهـا
إن كـان فقـده همنـي أو سرنـي
لا يعلـم الحب الـذى قـد خـنتـه
هل عـاش يومـا وانتساك لتنسنـي
هـل كـان وردا فـى فـؤاد نـاضـر
أم هـو وهـم همت فيـه فهامنـي

أضواء الفكر

◆ لماذا نحيي أبا حيان وإمتاعه

نظم نادي البحوث والدراسات التابع لمعهد ابن شرف يوم 4 جانفي 1977 ندوة حول ابي حيان التوحيدي قال فيها الاستاذ عبد العزيز الهاني :

« في هذا اليوم الذي تلتئم فيه حول ابي حيان التوحيدي المغمور في زمانه ـ شأن الكثير من ابناء الحضارة العربية الاسلامية ماضيا وحاضرا ـ ندوة فكرية ، قد يتساءل المرء عن سر احيائه بعد مرور حوالي قرون عشرة على وفاته ، وعن الفائدة من احياء من غبته عصره وأهمله معاصروه في القرن الرابع الهجري حتى قال احدهم وهو ياقوت الحموي « لم يذكره احد في كتاب ولا ادمجه في خطاب » اليس من الاجدى ان نهتم بالاحياء عوض ان ننبش التراب عن الاقدمين لا سيما اذا كان ممن ترفعوا عن الخلود فاحرق كتبه آخر حياته ؟ .

الا تكفي معرفته معرفة بسيطة على نحو ما جاءت في كتب التاريخ وتراجم الاعلام فنقول هو اديب عربي بارز في النثر الفني عاش في عصر البويهيين فترة غامضة الحدود ، فلا نعرف على وجه التحديد زمن ميلاده ومكانه وتاريخ وفاته ؟ الا يكفي ان نردد مثل القدامى ان ميلاده كان بين 310 هـ و 314 هـ في مكان يتراوح بين نيسابور وشيراز وبغداد ، وانه اتصل بخاصة زمانه فدون في بعضهم « مثالب » متحاملا ، واهدى لمن اعجب بهم رسائل « في الصداقة والصديق » والامتاع والمؤانسة متقربا ؟ وانه اتصل بالخاصة كالمهلبي وابن العميد وابن عباد وابن سعدان وابي الوفاء المهندس ، كما كانت له بالمتصوفين والمتكلمين والفلاسفة والشعراء والظرفاء اخبار ونوادر تجد اصداءها فيما وصلنا من آثاره ؟ .

ثم لماذا نحيي ذكر أديب بكاء شكاء مذراف للدموع خاب اجتماعيا فظل اعزب سرمديا وآلمه التكسب بالدين والادب والاخلاق فانتصب ذابا عنها غير عابىء بشتم التافهين الانتهازيين مهاجما كل مفسد مهما علا المقام ؟

بل لماذا ندرج في برنامج التعليم الرسمي شخصية متشائم ليدرسه فتيان وفتيات ما أحوجهم لغذاء روحي مفعم طموحا واندفاعا وتوقا بعيدا عن التقوقع والانطوائية ؟ .

ثم ما هي اسرار انتخاب كتاب « الامتاع والمؤانسة » محور ندوة ؟ الا يكفي ان نعرف ظروف تأليفه وهي الحاح صديق التوحيدي ـ أبي الوفاء المهندس احد مشاهير الفلسفة في عصره وذي الايادي البيضاء عليه ـ في تدوين المسامرات التي دارت في مجلس الوزير ابن سعدان ، هذا الوزير البويهي (لعهد صمصام الدولة من سنة 373 ـ 375 هـ) صاحب المجلس العلمي والادبي المشهور في القرن الرابع لولوعه بالشعر والشعراء والعلم والعلماء . مما جعله يسأل ابا حيان ليالي متتابعة عن قضايا كلامية وفلسفية وتاريخية وشعرية وعلمية .. شغلت باله وحيرت فكره ؟ الا يكفينا معرفة اهم نتائج هذه المسامرات وهو كتاب الامتاع والمؤانسة ام ان هذا الكتاب يمثل قدرة الرجل الادبية واحوال العصر السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية ، وظروف الادب والادباء المادية والمعنوية تمثيلا بوأه مرتبة التفرد والامتياز للحكم لابي حيان او عليه ؟

هل هناك اسرار اخرى جعلتنا ـ بل جعلت هذه النخبة من تلاميذ الاقسام النهائية تنكب على الكاتب والكتاب دراسة وتحليلا واستنتاجا واستقراء وجعلت الباحثين والمدرسين مختلفين في قيمته فجعلت ابراهيم بن مراد يعد اهم قيمة للامتاع في الناحية الوثائقية ، بينما اعتبر علي دب غاية الامتاع سياسية (فكان سياسيا في تأليفه كما كان سياسيا في القائه واحتوى على اطراف شتى من مختلف ثقافات العصر ومعارفه وفلسفاته فأفاد المثقفين في كل العصور وان لم يفد السياسيين في عصره فائدة تذكر) ؟ .

لا اراني في حاجة الى الاجابة عن هذه المسائل فأقوم مقام هذه النخبة من أعضاء نادي الكتاب الذين درسوا الكاتب والكتاب موضحين قيمته الذاتية والوثائقية والادبية ، محاولين بطريقة غير مباشرة الاجابة عن تلك القضايا .

فلا ترك لهم الكلمة تقديرا لما بذلوا من جهد في البحث والاستقراء ، راسمين مدخلا لحوار حول قيمة ابي حيان التوحيدي وآثاره الادبية في تاريخ الادب والفكر العربيين .

فاليهم الكلمة واليهم شكرنا سلفا ٠

وبعد أن ألقى نخبة من الاساتذة والتلاميذ دارساتهم قال الاستاذ عبد العزيز الهـاني :

لعلكم استنتجتم معي بعد الاستماع لهذه العروض الاربع ان نادي الكتـاب كان على صواب عندما اتخذ من ابي حيان وامتاعه موضوع ندوة ، لاسباب ثلاثة على الاقل :

1) للعلاقة الوثيقة بين الكتاب وصاحبه الذي مثل المثقف الواعـي المـدرك لفساد الواقع في عصره التائق لاصلاحه فكريا ودينيـا واخلاقيـا وسياسيـا وادبيـا ، وفق منظوري ديني سلفي ٠

2) لان مأساة التوحيدي واغترابه وشكواه هي نتيجة احساسه العميق بتدني الاوضاع وانخرامها فكانت تجربته انسانية بمحتواها وابعادها جعلته يشكو من العصر والناس ويبكي لتأزم الدين والاخلاق ويهاجم كل منافق حقير ٠

3) لانه يشكل حلقة من حلقات النثر الفني في تاريخ الادب العربي فطـوره واثراه وأعطى للجملة تنغيما وثيق الارتباط بأحواله الباطنية وايقاعا دون ان تلميذا نجيبا مقلدا الجاحظ أمام النثر العربي ٠

عبد العزيز الهاني